
قام بعمل هذه النسخة الالكترونية
محمد قصي عبد الواحد / خريج كلية الاثار / قسم الاثار / الفرع الاسلامي

خطط الموصل

الجزء الثاني

يبحث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية
ونواحي الموصل القديمة

احمد سعيد الصوفي

طبع في مطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل سنة ١٩٥٣



خطط الموصل

الجزء الثاني

يبحث عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية
ونواحي الموصل القديمة

احمد علي الصوفي

طبع في مطبعة الاتحاد الجديدة بالموصل للفنون ٦٨٣

محمد خضر محمود

٢٥-٦-٢٠٠٧



صورة المؤلف

كتب المؤلف المطبوعة

١— كتاب الآثار والمباني العربية الاسلامية فى الموصل
٢— المحاكم والنظم الادارية فى الموصل
٣— خريطة مدينة الموصل في عهد الأتابكيين
٤— المماليك في العراق ، صحائف خطيرة من تاريخ العراق الحديث
٥— خطط الموصل الجزء الاول
٦— خطط الموصل الجزء الثاني
٧— حكايات الموصل الشعبية ، وهى جاهزة للطبع

تقريظ الكتاب

للاستاذ جرجيس فتح الله المحامي

دأب الاستاذ الصوفي على ان يقدم لقراء العربية عامة والموصليين خاصة مؤلفات تاريخية عن مدينة الموصل والبلاد العراقية ، كانت تلقى في وقتها ما تستحق من الرواج والاهتمام ، في الداخل والخارج كأنما يريد الاستاذ ان يضع الموصل وأهليها فى طوق حديدي مكين من عرفان الجميل ، بعنايته الفائقة ببلدهم. وكلما جاء ذكر الاستاذ الصوفي ومؤلفاته في مجلس، تذكرت كلمة فاه بها أحد علماء العراق فى معرض ذكر العلامة « أمين زكي » وفضل مؤلفاته على الاكراد قال : « لو صنع اخواننا الاكراد تمثالا من ذهب لأمين زكي لما وفوه حقه » .

قبل ثلاثة أشهر ونيف ، أصدر الاستاذ كتيباً أسماه « خطط الموصل » كتبت عنه الصحف فى حينه وامتدحه من امتدحه من المعنيين بدراسة شؤون هذا البلد . والرجل كتلة أعصاب وشعلة نشاط لا يعرف سره إلا من خالط صاحبه كما خالطته ومازجه عن قرب كما مازجته. فقد أخرج في ظرف سنة ونيف حوالي خمسة كتب . وأبت أعصابه ان تستجم قليلا او تتنفس اذ ما كادت « خططه » تطرح فى السوق حتى كانت قد اختمرت فى رأسه فكرة اخراج جزء ثان له . فاقبل يبحث وينقب ويجمع ويرتب ويرص ماتفرق وتشعث من أخبار المجتمع الموصلي الغابر ورسومه وأنباء قراه وكوراته حتى أكمله ببضعة أسابيع فخرج تحفة اخرى تضاف الى (تحف) الصوفي ولو حضرني وصف أبلغ من هذا ما ترددت فى اقتباسه كيف لا وقد تناول

(الصوفي) من الموصل جوانب لم يتطرق اليها كاتب او مؤرخ او أديب من قبل ، فاحيا بالكتاب الذى نقدمه لياليها الملاح وصبواتها ووصف لنا المدينة ايام حزنها وفرحها وايام أعيادها ومآتمها ومختلف حفلاتها التقليدية الطريفة التي عفى عليها . وأبرز لنا ملامح المجتمع الموصلي الغابر المندثر بدقة واسلوب عربي بسيط سهل لطالما حسدته عليه .

لذلك كان فضل الصوفي على الموصل عظيما ، فضله على كل حجر وقبر ومعهد وطريق ومنارة ومسجد وجدول أحيا لنا ذكره بعدما عفت رسومه وانمحت آثاره ، واذا كان الصوفي قد « بحث فى خططه الاولى عن الموصل بحثاً وافياً بدأه بتسميتها وختمه بالمقبرة السابلة خارج باب الجصاصين » كما يقول صديقنا الاستاذ اكرم فاضل ، فالجزء الثاني من خططه قد بدأها بابنية الموصل وفوائد وضع السراديب فيها وأنهاه بحفلات ختان الاطفال وسبع القطن وهذا لعمري مجهود يحسد عليه الاستاذ ، لقد فرضه على المتتبعين فرضاً ليكون مرجعاً مهما للموصل وحالتها الاجتماعية .

هكذا تجد الصوفي كاتباً غيوراً أوقف نفسه على الموصل واحياء معالمها التاريخية بقلم مبين أمين ، لا تحيز فيه ولا تحتل غير عابىء بنقد الناقدين وتعرض المغرضين ، وما اكثر من يجعل البياض سواداً والسواد بياضاً فى هذا البلد .

والحديث عن الاستاذ يطول ويطول .. بقدر ما يطول بحثنا فى سر نشاطه الذى جعله يخرج كتباً خمسة فى سنة ونيف ولعلك تسألني وما هو الخامس وعندئذ أجيبك انه « حكايات الموصل الشعبية » نقلت باللهجة الموصلية المأثورة . تهانينا للاستاذ الصوفي .

الموصل في ١ تموز ١٩٥٣

مقدمة المؤلف

يسرني ان أقدم الى قراء العربية الجزء الثاني من كتاب (خطط الموصل) وقد نسقته الى عدة أبواب :

الباب الأول : يبحث عن وصف أبنية الموصل وفن البناء والتعليق على ما أورده الرحالون عن طراز أبنية الموصل القديمة .

الباب الثاني : يتناول البحث عن المعاهد العلمية القديمة فى الموصل وعن ادارتها وطرق التدريس التي كانت متبعة فيها وعن حفلة تسليم الاجازة العلمية للمتخرجين منها (الشهادة العلمية) وعن طريقة تعليم الصبيان مبادىء القراءة والكتابة فى الكتاتيب وعن الاحتفال بختم القرآن الكريم .

الباب الثالث : يبحث عن ملامح المجتمع الموصلي : التدين والأخلاق في الموصل ، وعن حفلات الاستقبال ، وعن الثياب والرياش البيتي ، وعن حفلات الزفاف والخطبة (النيشان) وكيفية اختيار الزوجة ، وعن حفلات الختان ، وعن المسرح والتمثيل (خيال الظل) ، وعن المآتم ومجالس التعزية ، وعن أيام الموصل وصبواتها وأعيادها الشعبية ، وعن ألعاب فتيان الموصل ، وعن مجالس الغناء والطرب ، وعن التطبيب بالشعوذة والدجل .

الباب الرابع : يتناول البحث عن الحالة الاقتصادية فى الموصل ، والزراعة ، وتربية الدواجن ، والصناعة ، والنحت ، والتصوير ، وعن الزخرف ، وعن التجارة ، وعن الضرائب .

الباب الخامس : يبحث عن النواحي الملحقة بمدينة الموصل ، وعن نظام

الادارة والحكم في البلدان ، وعن مسالك الموصل الخارجية ، وعن نواحي الموصل القديمة : ناحية نينوى ، ناحية العقر ، ناحية العمادية ، ناحية بلد ، ناحية البقعاء ، ناحية تل أعفر ، ناحية حديثة الموصل ، وعن غارة التتر على الموصل وخمول ذكرها .

الباب السادس : يحتوي على الملاحق ، الملحق الأول (الموصل في رحلة ماركوبولو) . الملحق الثاني (الموصل في كتاب رحلات ما بين النهرين للرحالة الانكليزي ج . س . بوكنكهام .

وقد ذيلنا هذا الكتاب بفهارس لأسماء الأعلام والمواقع والمواضيع ، وثبتنا مواقع القرى والنواحي القديمة لمدينة الموصل بخريطة يجدها القارىء الكريم في نهاية الكتاب .

وقد اعتمدنا في البحث عن هذه المواضيع على المصادر المدونة أسماؤها في نهاية الكتاب ، وعلقنا على ما كتبه المؤرخون عن هذه الأبحاث تعليقاً مسهباً لاتمام البحث العلمي . وقد حرصت أشد الحرص على ان أقدم لأبناء أمتي معلومات صحيحة عن حضارة الموصل الزاهرة في عصورها الذهبية قدر الامكان . وسجلت في هذا الكتيب ما قد أهمله المؤرخون من عادات وتقاليد كانت مرعية عند الموصليين التي اندثر قسم منها ، وما بقي منها فهو على وشك الاندثار والزوال بحكم تطور الزمان ، والله ولي التوفيق .

الموصل في ١٠ تموز ١٩٥٣ — أحمد علي الصوفي

الباب الاول

— ١ —

في وصف أبنية الموصل

الموصل هي من المدن المشادة على الطراز الفارسي ، حيث ان بناءها كان قد تم أثناء الفتوح العربية في العراق الذي كان تحت حكم الدولة الساسانية قبل ذلك ، والمدن من هذا النوع تتألف من قلعة (قوهندر) ثم من المدينة الأصلية ذات السور والأبواب ، ثم من القسم التجاري وهو الأسواق ، وقد طرأ فيما بعد تغييرات ، وترى في المدينة بيوتاً مبنية بعضها على بعض مستديرة ، هذه الدور كانت تحتوي على حرز « وقاية » وهي من المرافق الحربية ، وكان في أعلى البلدة قلعة عظيمة رص بناؤها رصاً ، ويحيط بالقلعة سور قديم فيه بروج شاخة ، وأمام القلعة ساحة واسعة تفصل القلعة المذكورة عن المدينة ، ويمتد منها شارع يقطعها من الأعلى الى الأسفل (١) ، وكان قصر الأمارة بجانب المسجد الجامع (الجامع الاموي) يطل على ميدان فسيح (٢). كانت الموصل وقتئذ تمتد شمالا وغربا امتداداً واسعاً بخلافها اليوم حيث أدرك الخراب القسم الشمالي والغربي واندثر واتسعت تدريجياً نحو الجنوب. والسبب الاكبر في ذلك ان دور الحكومة كانت على زمن الاتابكيين في شمال البلدة ومنها بقايا قصر السلطان لؤلؤ (قره سراي) الواقع على دجلة في الشمال

(١) ابن جبير ص ١٩٠ (٢) الكامل ج ٥ ص ٢١٤

الشرقى من المدينة وقد بقى منه جدار عظيم ضارب فى الفضاء مع نوافـذ
الواسعة المطلة على النهر فيه كتابة على جدران بقية الايوان تحتوي على اسم
السلطان لؤلؤ ، وتحت الكتابة زخارف وصور رجال مصبوبة بالجبس الناتي .
ويقول لنا ابن الاثير صاحب الكامل ان « الحر بن يوسف » الاموي الذى
حكم الموصل أحد عشر سنة في عهد الخليفة هشام ، أسس فيها قصراً منيفا
أبدى الفنانون في بنائه كل مهارة وإبداع وشيدوه بالرخام الابيض المصقول
وزخرفوه بالحجارة الملونة المنقوشة وركزوا سقوفه على دعامات وأكتاف
من الخشب الهندي المموه بماء الذهب ولهـذا سمي « بالمنقوشة » (١) . اما
أسواق الموصل فيقول ابن جبير عنها بانها كانت على جانب عظيم من الانتظام
وحسن التنسيق والترتيب ، فكان فى سوقها قيسارية للتجار كأنها الخان
العظيم ، لها أبواب من حديد وفى داخلها حوانيت ودور بعضها على بعض ،
وقد ظهر هذا البناء المزخرف بشكل لا مثيل له في جميع البلدان من حيث
السعة والاتقان وهندسة البناء والزخرف . هذا وبقدر اعتناء أهل الموصل
القدماء بتشييد الجوامع على أحسن نظـام واتقان ، فانهم لم يألوا جهداً فى
احكام بناء منازلها وتقويتها . ويصف المؤرخ (٢) « الجامع الاموي » فيقول
ان فى صحنه قبة وبداخلها سارية رخام قائم قد زين جيدها بخمسة خلاخل
مفتولة فتل السوار من جرم رخامها ، وفي أعلاها خصة خام ويخرج عليها
أنبوب من الماء خروج ازعاج ينعكس الى أسفل القبة (٣) . ويفهم من قول
الحموي عند بحثه عن أبنية الموصل بانها حسنة جيدة وثيقة بهيـة المنظر تبنى

(١) الكامل ج٥ ص٦٢ ، أنظر ايضا مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ص١٦٨
(٢) ان جبير ص١٩٠
(٣) ابن جبير ص ١٩٠

بالنورة والرخام ، وكانت الدور تحتوي على آزاج وسراديب (١) ومن هـذا
الوصف الدقيق تتصور ما كانت عليها العناية في تشييد الابنية عموماً والمساجد
خصوصاً .

—٢—

فن البناء في الموصل

تقدم فن البناء فى القرنين السادس والخامس الهجري ونالت المدينة شهرة عظيمة
به بين المدن الاسلامية كل ذلك لامتيازها عن غيرها بوجود المقالع المرمرية
البيضاء والسمراء (الحلان) فى ظواهرها .

وقد حافظت هذه الابنية المشادة على معـالمها التاريخية الى يومنا هذا وهي
مشيدة على الطراز الذى كان متبعاً فى العراق وبلاد فارس ، لا ما كان سائداً
في سوريا وفلسطين ومصر وتمتاز تلك المبـانى بان مآذنها مستديرة وقببها
مخروطية الشكل وأعمدتها مربعة الاضـلاع ، والابواب فيها ضيقة واطئة ،
بعكس طرز البناء العراقي الفارسى الذي كان سائداً الموصل فالابنيـة مشيدة
بالآجر والقاشاني الملون ومزخرفة بنقوش هندسية وزهرية ، ومحلى بكتابات
آيات قرآنية بالخط الجلي والبعض منها بالخط الكوفي على جدرانها من الداخل
وأبوابها ونوافذها . اما المحاريب الموجودة فيها ، فقد شيدت بالمرمر الازرق
ـ الابيض ، وهي مزخرفة .

ومن أهم المباني التاريخية فى الموصل « جامع النوري » المعروف الآن بالجامع
الكبير ، يقع في وسط المدينة ، شيده الملك نورالدين محمود بن عمادالدين زنكى

(١) معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٦

سنة ٥٦٨هـ ، وقد هدم قبل أربعة أعوام من قبل دائرة الاوقاف وعمر بعد ان روعي ان يحتفظ بشكله الاول وزخارفه وأضيفت الى قبته أربع منائر صغيرة كل واحدة ترتفع في ركن من أركان باحة الجامع . أما معالمه التاريخية فقد أرسلت الىدار الآثار العربية الاسلامية ببغداد .

يعد هذا الجامع من أعظم الابنية العربية فى الموصل، وقد كتب عنه وعن محتوياته المؤرخون والسياح مثل ابن الاثير وابن جبير وياقوت وابن بطوطة والقرماني وغيرهم . فقد أشادوا بعظمة بنائه وأسهبوا في الكلام عن زخارفه المعمولة من الجبس ذات الالوان الزاهية، ووصفوا نافورته ومئذنته ومحرابه الكبير ، ولم يبق من معالمه التاريخية الآن سوى المئذنة المعروفة بالحدباء، وهى معجزة الفن المعماري العربي وارتفاعها مع قاعدتها يبلغ (٥١) متراً و (٣٠) سنتمتراً ، وهي مائلة (كبرج بيزا) في ايطاليا ولذلك سميت بالحدباء. اماقاعدتها فمربعة الشكل ، اما نفس المئذنة ، أي جذعها ، فمستديرة وقطرها عندالقاعدة يبلغ اكثر من ثلاثة أمتار ، وينقص قطرها تدريجياً حتى يبلغ عند منتهاها مترين ونصف متر ، وقد تفنن المعمار في تزيين ظاهرها فجعلها سبعة أقسام يعلو بعضها بعضاً كلها مزخرفة بنقوش هندسية جميلة للغاية. والمئذنة مشيدةبالآجر والكلس ، ولونها ذهبي كمد ، وهى خير أنموذج يوضح مبلغ رقي فن البناء الموصلي فى تلك الاعصر .

ومن الابنية التاريخية العربية فى الموصل ، مرقدا الامام يحيي أبي القاسم ، والامام عون الدين ، وهما من بدائع الفن المعماري العربي الاسلامي نظراً لما يحتويان عليه من هندسة راقيـة وريازة وزخارف ومقرنصات وأفاريز يندر وجودها الآن . اما قبة ضريح الامام عون الدين فخير مثال يوضح لنا مبلغ

تفنن البنائين فى بناء القبب ، وترتكز هذه القبة على قاعدة مربعـة ، اما هي فمخروطية الشكل مضلعة ذات ستة عشرضلعاً مشيدة بالآجر والكلس، ويبلغ علوها مع قاعدتها اعتباراً من مستوى الفناء ما يقارب الثلاثين متراً ، وعليه تكون أعلى قباب الموصل . ويظهر ان الترميمات التي أدخلت عليها في العصور الحديثة جعلت زخارفها مستورة من الخارج بطبقة من الجص .

ويصف لنا « دومينيكو لانزا » الذى أقام بالموصل في القرن الثامن عشر ردحا من الزمن ما ملخصه :

« ودور المدينة مبنية بالأحجار والطابوق والجص وهى مريحة وكلها على طراز واحد تقريباً ، وان هندستها المألوفة هى على الصورة التالية : كل دار لها في الوسط منطقة مفتوحةمن جهة الفناء أشبه بغرفة، ومن الجهة الأخرى تقوم غرف فى الطبقة السفلى جميلة البناء باعضادها (سقوفها) وتتصل بها خزانة . ولشدة الحر ينام الأهلون اربعة اوخمسة أشهر الصيف علىالسطوح آمنين المطر والندى ، وللغاية عينها يوجد في كل من البيوت الواسعة غرفة تحت الأرض تسمى سردابا لاتقاء حر الصيف . ومن بنايات هـذه المدينة الخاصة نوع آخر من البنايات تحتالأرض لحفظ الحنطة التىتحتاج اليها الناس وهي عبارة عن حفر عميقة تحيط بها جدران قوية مطلية بالزفت (خشية الرطوبة) وتسد باحكام بسد فم الحفرة الى عمق ذراع بحيث لا يشك أحد بوجود شيء في ذلك المحل (١) » .

وجاء فى كتاب « رحلات ما بين النهرين » لمؤلفه بوكنكهام ، وصف لبناء الموصل ما خلاصته :

(١) الموصل فى القرن الثامن عشر ص ١٠

« والبيوت منشأة من أحجار صغيرة غير منحوتة « حجر الصمان (١) »
وكانت الأبواب هى المنفذ الوحيد على الشارع ، اذ ان النوافذ تطل على
صحن الدار من الداخل فقط » .

أقول : ان تخطيط الدور وهندستها لا بد وان يراعى فيها العوامل الطبيعية
والحالة الاجتماعية ، منها المناخ . وقد بنيت وصممت أبنية الموصل لتقي الناس
حر الصيف وزمهرير الشتاء ، ومنها وضع المرأة والحرص على صيانتها وحبسها
داخل جدران لا ينفذ اليها نظر الرجل الغريب ، كما ان ثخن الجدران وقلة
النوافذ وصغر الأبواب متأت عن الخوف المستمر الذى يخالج سكان البلد من
النهب والسلب والهجوم ، حتى أشبه البيت قلعة تقاوم الحصار . ولذلك كان
يوجد فى كل بيت من بيوت الموصل القديمة (ما زالت مئات منها حتى الآن)
آبار وينابيع عميقة يستقى منها الماء في حالة حصار او تطويق الدار وعزله .

لذلك كانت خطط دورالموصل القديمة وهندستها مستوحاة من هندسة دور
البابليين والآشوريين والفرس . كان البيت الآشوري يتألف من صحن في
الوسط على شكل مستطيل او مربع تحيط به الغرف من كل جانب؛ وتتألف
الدار على العموم من طبقة واحدة لا اكثر ، واذا حدث (وهذا قليل) ان
تألفت الدار من طابقين، فانك واجد فى الطابق الأول (الأرضية) الصحن
مع غرفة المؤون والمطبخ والسرداب والايوان والخلاء . وفي الطابق الثاني
تجد غرف النوم التى يتصل بعضها ببعض بواسطة أروقة وطارمات . وللغرف
في الطبقة الثانية منافذ تطل على صحن الدار يدخلها الهواء والضياء ، وليس
لها منافذ تطل على الخارج خشية الدخول منها الى الدار عند وقوع ثورة فى

(١) وأظنها تحريف من كلمة « صوان » .

البلد او تسلط على الدار . لهذا كان منظر الدور من الخارج أشبه بقلعة
حصينة زاهية . وكانت أبواب الدور عادة واطئة عليها باب من الخشب القوي
المصفح من الخارج والداخل ، والجهز باقفال ومتاريس من الحديد تقاوم
الكبس الخارجي عند وقوع اعتداء . وفى صحن الدار بئر يستعمل فى حالات
الحصار والمضايقة للشرب ، وفى الحالات الطبيعية يستعمل للغسيل وتنظيف
صحن الدار . وداخل البيوت مريح وصحي ، وتحتوي على جميع المرافق
الصالحة للسكنى في كافة الفصول الأربعة من السنة . ولما كان مناخ الموصل
قارياً : صيفها حار وشتاؤها قارس البرد ، فانك ترى سكان الدار ينتقلون
حسب تبدل المناخ الى المرفق الملائم .

عندما يحل موسم الصيف فى الموصل وترتفع درجة الحرارة فى شهري تموز
وآب الى ما فوق ٤٠° سانتغراد (مئوية) تنتقل الأسرة بجميع أفرادها
الى الطابق الارضي من الدار لكونه أقل حرارة وأكثر رطوبة ، فيؤمون
الايوان حتى الظهر ، وعندما تشتد درجة الحرارة يلتجئون الى السرداب
ويمكثون فيه الى ما بعد العصر ، وعند العشاء يصعدون الى سطح الدار
وينامون هناك . وهكذا تستمر الحالة الى حلول فصل الخريف، فينتقل
أفراد الاسرة بمناسبة حلول فصل الشتاء الى الطابق الثاني (الأعلى) .

اما الحفرة التى أشار اليها الاب « دومينيكو لانزا » فهي التى كانت تسمى
عندنا بالدارج (الجفر او الجوال) تستخدم بمثابة مخزن تعبأ فيها الحبوب
وتخزن لايام الشتاء او خيفة القحط . وكانت جميع دور الموصل قبل مائة سنة
تقريباً تحتوي على مثل هذه الجفر ولكنها اندثرت الآن . اما في القرى فلا
تزال موجودة الى يومنا هذا يتخذها الفلاح بمثابة مخازن يدخر فيها ما

يفيض عن حاجته من الحبوب .

كان المحتكرون من سادة الموصل الاقطاعيين يستعملون الجوالات لاحتكار الحبوب سنيناً حذر احتباس في المطر يتبعها قحط ومجاعة ، وعندئذ يفتحونها ويبيعون منها لعامة الناس بالاسعار التى يريدونها . وقد حاق بالموصل من جراء هذه الاحتكارات مجاعات هائلة أتت على الآلاف من الارواح وخربت البيوت ، وذلك في العهود الاقطاعية التي بقيت تسود هذه المدينة خلال القرنين الماضيين .

***

في العقد الثاني من القرن العشرين حصل تغيير كبير فى طراز العمارة الموصلي اذ ما ان دخلت جيوش الاحتلال الانكليزي وانتفى خطر الهجمات وقلبت الحال ، حتى خرج أهالي الموصل عن عزلتهم نوعا ما ، فاخذوا يعتنون بواجهات منازلهم المشادة حديثاً ، زخرفة ونقشاً ، وفتحوا نوافذ على الطرق كبيرة ، ثم سرى استعمال البيوت المقفولة الخالية من الفناء ، وأنشئت محلة عصرية على السهل الممتد جنوبي الموصل والمعروفة الآن بمحلة « الدواسة » شيدت فيها أبنية تضاهي أجمل ما أخرجته العبقرية الهندسية الحديثة . اما سائر المدينة فما زالت زاخرة بالقذارة والطرق المتعرجة غير المرصوفة والاهمال الفظيع ، وهو أمر غريب لا يليق بما ندعوها « ثاني بلدة عراقية ! » .

الباب الثاني

— ١ —

المعاهد العلمية القديمة فى الموصل وادارتها

اهتم الموصليون قديماً بتشييد المعاهد العلمية ، وبلغت المدينة منزلة علمية كبيرة وأصبحت من أهم المراكز العلمية في البلاد العربية . وبدأت النهضة العلمية منذ ان تولى أمارتها « الحر بن يوسف الأموي » سنة ١٠٦ هـ ، حيث أسس فيها مدرسة فى مسجده المسمى « مسجد الحر بن يوسف (١) » الذى يطلق عليه الآن اسم « جامع الرحماني » في محلة حوش الخان قرب شارع نينوى . اما العلوم التي كانت تدرس فى هذه المدرسة فهي عبارة عن تعلم القرآن الكريم والقراءة والكتابة والعلوم الدينية والحديث والشعر .

وتقلب بها الزمن ، ففترت فيها الحركة العلمية آناً ، وانتعشت آناً ، وظهر فيها زعماء وولاة وحكام شجعوا على تأسيس المدارس ، وأصاب الموصل من الحركة العلمية في عصر المأمون قدراً ، وكان عصر الأتابكيين فيها عصراً ذهبياً لها ، حتى ان وصف ابن جبير لها كان خير شاهد على ما بلغته الموصل من رفعة ثقافية . فقد جاء في رحلته ما يأتي :

« ... وفى المدينة (الموصل) مدارس للعلم نحو الست او أكثر على دجلة

(١) مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ص ١٦٨

فتلوح كأنها القصور المشرفة (١) » .

يستدل من هذا الوصف الموجز لمدارس الموصل انها كانت حافلة بميادين العلم والثقافة . فذكر ما استلفت نظره منها وهي هذه المدارس الواقعة على نهر دجلة فقط ولم يتعرض للاخرى الواقعة فى قلب المدينة او شماليها وجنوبيها، حيث ذكر التاريخ غير هذه : «١» المدرسة النظامية التي بناها الوزير نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ «٢» والمدرسة الأتابكية التي بناها سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكي سنة ٥٤٤ هـ (٢) وهي من أحسن المدارس وقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية (٣) ، «٣» مدرسة القاضي كمال الدين أنشأها كمال الدين أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله أبي احمد القاسم الشهرزوري الذى تولى القضاء فى الموصل على زمن عماد الدين زنكي بن آق سنقر وابنه سيف الدين غازى، وكانت ولادته سنة ٤٩٢ هـ بالموصل ووفاته بدمشق سنة ٥٧٢ هـ (٤) ، «٤» والمدرسة العزية التي بناها أتابك عز الدين مسعود أبو الفتح سنة ٥٨٩هـ ودفن فيها وهى مقابل دار المملكة (٥) وهي الآن مرقد الامام عبد الرحمن، «٥» المدرسة النورية بناها الملك العادل نور الدين أبو الحرث ارسلان المتوفي سنة ٦٠٧هـ وهي قبالة المدرسة العزية وبينهما ساحة كبيرة (٦) وهي الآن مرقد الامام محسن ، «٦» المدرسة الظاهرية أنشأها الملك الظاهر عز الدين بن مسعود بن أرسلان شاه المتوفي سنة ٦١٥هـ ودفن بها (٧)، «٧» والمدرسة العلائية بناها علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود ، «٨» والمدرسة

(١) ابن جبير ص ١٩٠
(٢) ابن خلكان ج ١ ص ١٧٩ و ١٨٠
(٣) ابن خلكان ج١ ص٥٩٧–٥٩٨
(٤) الكامل ج ١٢ ص ٤
(٥) ابن خلكان ج ٢ ص ٤٥
(٦) ابن خلكان ج ٢ ص ٤٥
(٧) ابن خلكان ج ٢ ص ٩٦

البدرية أسسها بدر الدين لؤلؤ مدبر ملك الأتابكيين فى أواخر الحكم الأتابكي وتولى الملك بعد انقراضهم ، وهي ما زالت محافظة على معالمها التاريخية وتسمى اليوم بمرقد الامام يحيى أبي القاسم او أبي القسم .

اما المدارس التي حافظت على معالمها حتى يومنا هذا فهي :

—٦—

مدرسة جامع النوري

أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي في جامعه المسمى باسمه سنة ٥٦٨هـ والمعروف الآن بالجامع الكبير ، وهذا الجامع يقع فى وسط المدينة ، والمحلة التي يقع فيها أخذت اسمها منه .

—٧—

المدرسة الزينية

وتقع فى محلة رأس الكور على شاطىء دجلة فوق نشز من الأرض، بناها نور الدين أبو الحسن علي كجك بن بكتكين بن محمد وهو « أبو الملك المعظم» مظفر الدين بن سعيد بن كوكبوري صاحب اربل . توفى زين الدين سنة ٥٦٣هـ ، والمدرسة الزينية هى المعروفة اليوم بمدرسة يونس النحوي الذى اختص بالتدريس فيها زمناً وكان غرة فى جبين ذلك العصر . ويظهر من الحدس مما بقي من شكل خرابتها انه كان لهذه المدرسة فناء واسع جداً وكانت تحتوي على غرف عديدة واسعة لسكنى الطلاب . ولكن بمرور السنين اغتصبت معظم أبنيتها كما ترى معالمها اليوم ، وقاعة المدرسة في جنوب الفناء وهي محافظة علي طرز بنائها القديم ، ولقد كان له شرفات مطلة علي دجلة وعلي الجهات

السائرة وآثار الشرفات باقية إلا أنها قد سدت . اما بناء قاعة المدرسة نفسه فهو مثمن الأضلاع ، في كل ضلع شبه رواق قليل العمق داخل في سمك الجدار ، وفوق هذه الأروقة أقواس من المرمر وضعت لمحو الزوايا الحاصلة من اتصال الأضلاع ، وفوق هذه الاقواس دائرة من المرمر اتخذت لتكون القبة فوقها مستديرة وقد ركبت القبة فوق هذه الدائرة ، والبناية كلها مشيدة بالآجر والجبس .

—٨—

مدرسة الطغرائي

تقع قرب الشط المسمى « شط الجومة » على نهر دجلة أنشأها الطغرائي الشاعر المشهور صاحب لامية العجم . لما كان فى الموصل فى خدمة مسعود بن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقى ، سعى فى عمارتها الحالية الشيخ عبدالرحمن افندي حفيد الشيخ السيد محمد نوري القادري على عهد السلطان عبد الحميد الثاني .

—٩—

مدرسة مجاهد الدين

بناها أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني مجاهد الدين الخادم . كان قد تولى ادارة الموصل سنة ٥٧١هـ وأنشأ فيها آثاراً جليلة ، منها انه بنى بظاهرها جامعاً كبيراً وميناً وتكية للصوفية ، ومد على شط الموصل جسراً غير الجسر الاصلي . ويظهر من قول ابن الاثير ان موقع المدرسة المذكورة كان بجانب جامعه (جامع مجاهد الدين) المسمى الآن بالجامع الاحمر .

—٢—

ادارة المدارس وأعمال المعاهد العلمية

كانت مقرات المدارس فى صدر الاسلام ، هي المساجد والجوامع ، ووظيفتها تعليم القرآن والحديث والفقه والعلوم العربية ، وكان يجلس المدرس في المسجد وحوله الطلاب حلقات ، وظلت هذه الطريقة المتبعة في عهد الخلفاء الراشدين والعصر الاموي وصدراً من العصر العباسي . ولما تنوعت العلوم في العصر العباسي واتسع نطاقها ، تنوعت كذلك حلقات الدرس ، فصارت حلقات دراسية للشعر والادب والعلوم الطبيعية والرياضة والفلسفة . وبنضوج هذه العلوم واتساعها ، ظهر الاختصاص ، وأفضت الحاجة الى تأسيس مدارس مستقلة في أبنيتها وادارتها . وأول من أشاد مدارس على هذا النمط في بغداد والموصل نظام الملك الوزير السلجوقي الذي أسس المدرسة النظامية فى بغداد والمدرسة النظامية في الموصل ، وسرت منهما الى كل البلدان العربية . وصار لهذه المدارس أنظمة تدار بموجبها ، فكل مدرسة كان يرأسها شيخ يساعده فى عمله أساتذة من العلماء .

يظهر لنا ان مناهج الدراسة كانت حرة غير قسرية كما هو الشأن في المدارس العالية الآن ، فقسم يجمع سائر العلوم ، وقسم يختصون بفرع .

كان الشيخ الاستاذ يجلس في صدر القاعة وحوله التلاميذ على شكل حلقات ، فهذه حلقة فقه لشيخ ، وبجنبها حلقة نحو لآخر ، وثالثة لدراسة الشعر ، ورابعة لرواية الاخبار ، وخامسة للمنطق ، وسادسة للحديث وهكذا (١) ، فيناقشهم الاستاذ في المواضيع العلمية التي يدرسونها ، فتارة

(١) ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٧

يشرح لهم ما غمض عليهم ، وطوراً يقرأ الطالب نفسه الكتاب موضحاً العبارات ، وللمتعلم الحرية التامة فى الانتقال من حلقة الى اخرى. وكان الشيخ الاستاذ الذى يرأس الحلقة اذا ما قرأ عليه أحدهم علماً وأراد اجازته، أعطاه شهادة تحتوي على التفاصيل الضرورية للدلالة على درجة الخريج وقيمته العلمية التى اكتسبها .

وما يجيز له تدريسه وروايته من العلوم ، ويكون ذلك بمحضر من الناس وفي حفلة بهية تقام لهذا الغرض ، ولا تزال هذه القاعدة جارية فى المدارس الدينية الى يومنا هذا تعرف باسم « حفلة الاجازة العلمية » بالموصل .

يقول يوسف بن رافع بن عتبة الاسدي الموصلي قاضي حلب في ترجمة حياته :

« وأول من أخذت عنه العلم شيخي الحافظ ضياء الدين أبو بكر يحيي بن سعدون بن تمام بن محمد الازدي القرطبي ، فاني لازمت القراءة عليه احدى عشرة سنة ، فقرأت عليه معظم مارواه من كتب القراءآت وقراءة القرآن ورواية الحديث وشروحه والتفسير ، حتى كتب لي خطه بذلك وشهد لي بذلك .

« ثم قرأت على الشيخ أبي البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجي تفسير الثعالبي ، وأجازني ان أروي عنه ما قرأته .

« وأجازني الشيخ مجد الدين أبو الفضل عبد الله بن احمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيب بالموصل .

« ودرست على الحافظ مجد الدين أبي محمد عبدالله بن محمد بن عبد الله بن علي الاشيري الصنهاجي كتاب الجامع لابي عيسى الترمذي وكتب لي خطه

بذلك في شوال سنة ٥٦٧ هـ .

« وقرأت على الحافظ سراج الدين أبي بكر محمد بن علي الحياني صحيح مسلم والوسيط للواحدي وأجازني بذلك (١) ، وقد كان لتلك الشهادات قيمة علمية ليس بأقل من قيمتها اليوم .

« وكان فى كل مدرسة مكتبة عامرة زاخرة بالكتب فى شتى العلوم والفنون، وكان لكل مدرسة أوقاف مكونة من حوانيت وأسواق وحمامات وضياع موقوفة عليها من قبل مؤسسيها ، وكانت غلاتها السنوية تصرف على المدرسة لرواتب المدرسين ومساعدة الطلاب على شراء الكتب والملابس والطعام وغير ذلك من اللوازم التي يحتاجها الطالب أثناء حياته الدراسية » .

— ٣ —

ختم القرآن الكريم وكيفية الاحتفال به

عندما كان الطفل يبلغ السادسة من عمره، يرسل الى أحد الكتاتيب القريبة من دار أبيه (وهى بمثابة مدارس أولية يقوم بادارتها والتعليم فيها رجل يحسن القراءة ويجيد الكتابة ويلم بالأعمال الحسابية الأربعة ، يطلق عليه اسم الملاء) . كانت المساجد والجوامع مقراً للكتاتيب حيث يحشر عشرات الأطفال في غرف مظلمة رطبة ، ويتصدر الملاء الغرفة وأمامه صندوق خشبي والى جانبه حزمة من العصي ، وفلقة معلقة على الحائط بهيكلها الذى يدخل الرعب في قلب الطالب . كانت هذه الحزمة من العصي التي تختلف طولا وغلظاً ، مع الفلقة هي (كل وسائل الايضاح) المستعملة في التدريس . وكان

(١) وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٦٦

التلاميذ ينقسمون الى جماعات كل جماعة تؤلف حلقة فيها حوالي خمسة
صبيان يدير شؤونهم صبي أكبر منهم سنا وأكثرهم تقدما في القراءة يطلق عليه
اسم (الخلفة) فيعلمهم مبادىء القراءة فى القرآن الكريم وكتابة الحروف
الأبجدية والأرقام الحسابية (الأعداد) اما المتقدمون من الصبيان الذين
يظهرون اهتماما وذكاء ، فان الملاء يتفرغ الى تعليمهم .

عندما (يختم) الصبي قراءة القرآن يجرى له احتفال بهيج يشترك فيه جميع
الصبيان من رفاق مدرسته وأتراب محلته . وكانت حفلة شائقة لا تقل فى
روعتها عن حفلة الختان ، واليك وصفا موجزاً لها - مع العلم انها الآن فى
حكم المندثرة كصاحبتها حفلة الختان - :

يرتدي الصبيان ثياب الاعياد ويحضرون في الصباح الباكر الى الكتاب
ويحضر ايضاً المحتفل به ، يؤلف الصبيان كوكبة يتقدمها (الخلفة) حاملا على
(رحلة) من الخشب محلاة بقطعة من الحرير المزركشة بالذهب ، المصحف
الكريم ، يرفعها على رأسه او رأس أحد الصبيان ، ويتقدم هذه الكوكبة حملة
الاعلام الدينية ، ثم يليهم طبلية الباز والناقرون على الدفوف ، ثم الخلفة
وبيده دعاء يتلوه بصوت عال ، وهو مؤلف من أقفال مسجوعة في نهاية كل
قفل يرد عليه بقية الموكب بكلمة (آمين) . ويدور الموكب الشوارع
والمحلات ، ثم يعود الى دار والد الخاتم فتستقبلهم النسوة بالاهازيج والتهاليل
وتمد مائدة كبيرة عليها أنواع الاطعمة والحلوى ، فيتناول الصبيان الطعام .
وقبل ان ينتهي الحفل ويغادر الصبيان الدار ، يقوم والد الخاتم ويلبس الملاء
جبة جديدة من القماش الفاخر ويعطيه صرة تحتوي على مبلغ من النقود .
ولا تجرى مثل هذه الاحتفالات للفقراء لانهم لا يملكون طبعاً ما يصرفونه

على هذا الحفل .

ولما كان الدعاء على وشك الاندثار ، فقد آثرنا إثباته هنا إكمالا للصورة
التي حرصنا على نقلها لذلك العصر :

بسم الله الرحمن الرحيم :

نبدي باسم الله · نثني بحمد الله · إنا بحول الله · نغدو من الحافظين · يا
ربنا يا ستار · قد أثقلتنا الاوزار · فاغفر لنا يا غفار · أوزارنا أجمعين · يا
ربنا يا رحمن · وفقنا لحفظ القرآن · واختم لنا بالايمان · عند الممات أجمعين ·
يا خالق البرايا · يا واسع العطايا · اغفر لنا الخطايا · لاننا (مذنبين) · نرجوك
يا غفار · بالسر والاجهار · تمحو لنا الاوزار · لكي نعيد آمنين · ندعوك
بالاسماء · يا كاشف الضراء · اغمرنا بالنعماء · وارزقنا علم اليقين · ندعو
بالاسم الاعظم · وبالشفيع الاكرم · من ذكره مقدم · شفيع المذنبين · محمد
التهامي · ذو الصوم والقيام · وصاحب الاحكام · وسيد المرسلين · المصطفى
المنور · شفيعنا فى المحشر · صاحب حوض الكوثر · وأشرف المخلوقين ·
وصل يا ذا الفضل · على إمام الكل · والانبياء والرسل · في كل وقت
وحين · وارض عن الصديق · ذي الصدق والتصديق · القائم الحقيقي ·
بأمر الشرع والدين · وارض عن الاواب · عمر بن الخطاب · ذي الفضل
والخطاب · أعلى الاذان في الدين · وارض يا مولانا · عن سيدنا عثمانا ·
وزد له إحسانا · يوم الجزاء والدين · وارض عن الكرار · حامل ذي
الفقار · وسيد الانصار · وهازم الكافرين · وارض عن الزهراء · سيدة
النساء · واغمرها فى النعماء · يا أكرم الاكرمين · وارض عن السبطين ·
الحسن والحسين · شبان عدنان اثنين · هم أهل فضل مبين · والآل

والاصحاب . السادة الانجاب . ما ضجت الطلاب . عند الدعاء بالتأمين .
وانصر جيش الاسلام . المسلمين الاعلام . وخصهم بالانعام . يا أكرم
الاكرمين . يا ربنا واهدنا . واغفر لوالدينا . ثم لسامعينا . وعن كل
المسلمين . واغفر لقارئيها . ثم لسامعيها . ثم اعف عن منشئينا . وعن كل
المؤمنين . ندعوك يا ذا المنة . يا ذا الاسماء الحسنى . ترحمنا اذا عدنا . اليك
في يوم الدين . ندعوك بالانعام . تشفي كل الاسقام . يا من له الاكرام .
على كل العالمين . ندعوك يا ذا الكبر . إلهامنا للشكر . بحق أبي بكر . توفنا
مسلمين . ندعوك ياذا الاحسان . يا ذا المنة والغفران . تختم لنا بالايمان .
لنا وللمسلمين . وتختم بالصلاة . على زكي الذات . من جاء بالبينات . وقد
هدانا للدين . يا ربنا استجب لنا . هذا الذى دعونا . بالذل قد أتينا . فاقتنا
معصومين . وصل يا ذا الفضل . على شفيع الكل . والانبيا والرسل . وآلهم
أجمعين *

((أنتهى))

الباب الثالث

ملامح المجتمع الموصلي

— ١ —

التدين في الموصل

تحدثنا المصادر التاريخية ان سكان الموصل على اختلاف أديانهم ، كانوا على جانب عظيم من التدين والورع ، يؤيد ذلك ما كان فيها من المعابد والجوامع ودور الحديث والخانقاهات والتكايا والكنائس ، فكان عددها يربو على ٣٠٠ معبد .

وكانت الدروس الدينية والأحاديث النبوية تلقى فى الجوامع ودور الحديث بعد صلاة العصر فى كل يوم ، واذا ما حل شهر رمضان كان القوم على اختلاف طبقاتهم يؤمون الجوامع والمساجد لاداء الفروض الدينية. وكان فى دور الأشراف تلقى المواعظ الدينية بعد صلاة العشاء من ليالي شهر رمضان . وكان أمراء الموصل وملوكها ومنهم (بدر الدين لؤلؤ الذى خلف ناصر الدين محمود على سرير السلطنة) اذا حل شهر رمضان يفتح قصره في ليالي هذا الشهر فيغص بالوزراء والعلماء والأشراف وتحضر كتب الحديث وسيرة الرسول وأصحابه ، ويجلس « الزين الكاتب » و « عز الدين المحدث » ويقرآن على الحاضرين الدروس الدينية والاحاديث النبوية ، وتختم هذه المحاضرات بتلاوة آيات الذكر الحكيم .

اما اصحاب الطرق الصوفية فكانوا يقيمون سماعهم فى ليالي الجمعة وفي أيام شهر رمضان بالمساجد بعد صلاة العصر ، فيكونون بمجموعهم حلقة الذكر على شكل دائرة محورها الشيخ ، فيبدأون بالذكر أولا مكررين كلمة التوحيد ثم تتعالى أصواتهم فيها فيقومون على أرجلهم ويشرعون بالذكر بهجة بغير ألفاظ ويتمايلون يميناً وشمالا وركوعا واعتدالا ، ويلحن لهم القارىء القصائد الغزلية والخمرية المنظومة على مشرب جماعة الصوفيين الاقدمين وبينهم جماعة المغنين ينشدون الاناشيد في الاستغاثات والمديح لآل البيت والمشايخ الماضين، وأحيانا تضرب الدفوف في هذا السماع ايضاً ، ثم يتماسكون بالايدي ويدورون على شكل دائرة ينقلون أقدامهم على طريقة خاصة ، ثم يأخذون بالهرولة واحداً إثر الآخر على نمط خاص وتباعد متناسق .

وكلما مل أحدهم جلس وانتظر رفاقه حتى يتم جلوس الجميع ، وبذلك ينتهي السماع المعروف بالموصل باسم (الذكر) عند أتباع الطريقة القادرية .

اما أتباع الطريقة الرفاعية ، فيسمون الذكر بـ (الوقت) يلحن لهم المغني بألحان خاصة ويسمى بـ (المداح) يلحن الدور ويساعده البعض في ترجيع مطلع القصيدة التي كثيراً ما تكون في مدح الرسول وأصحابه الكرام .

وشيوخ الطرق على أسلوب شجي جداً ، وأحيانا يحمى الوطيس فيوقدون النيران ويحمون بها الصيجان وغيرها من الحديد فيحملون الصاج بايديهم وقد تتوهج ناراً ثم يحملونه باسنانهم وهم يدورون بسرعة بين الجمع الحاشد (ويسمون ذلك بالوقت) ومنهم من يحمل السيوف والخناجر والحراب والدبابيس ويتراءى للناس انهم يدخلونها فى أجسامهم ، ويدخل بعضهم (الشيش) فى خده ويخبط الشيخ نعال الدواب فى ظهور البعض من المريدين في أوضاع

خاصة ، ثم ينتهي السماع .

—٢—

الاخلاق والتقاليد عند الموصليين

وما طرأ عليها من تغير

تحدثنا المصادر التاريخية عن الناحية الخلقية فى مدينة الموصل ، فتقول ان الموصليين كانوا على جانب عظيم من حسن الخلق وطيبة النفس ، وقد سجل المؤرخون في صفحات التاريخ شهادات قيمة تنبيء عن ذلك .

فيقول ابن حوقل (١) ما نصه: «... ان أهل الموصل أهل مروءة وكرم وشجاعة » .

ويقول ابن جبير (٢) ما مضمونه : « بانك لا تلقى منهم (أهل الموصل) أحداً إلا ذا وجه طلق وكلمة لينة ولهم كرامة للغرباء وإقبال عليهم » .

***

أقول ان الموصليين كانوا ولا يزالون الى يومنا هذا يعطفون على الغرباء الذين يقيمون بين ظهرانيهم ، فيحلونهم محل الصدارة في مجالسهم ويغدقون عليهم الألقاب السامية ويرجحونهم على أبناء بلدتهم . والغرباء فى الموصل يجدون المجال أمامهم واسعاً لكسب المال ، وبمدة وجيزة يحصلون على ثروة طائلة وكلمة مسموعة ومكانة مرموقة بين السكان .

الاسرة الموصلية :

اما الأسرة الموصلية ، فالمشهور عنها بشدة تمسكها بالروابط العائلية، فالصغير

(١) ابن حوقل ص ٢١٥ (٢) ابن جبير ص ١٩٠

من أفراد الأسرة يحترم الكبير ، وهذا الكبير يعطف على الصغير . وكان للأب في الأسرة السلطة المطلقة بتدبير شؤون أسرته ، فجميع أفراد أسرته يحترمونه وينفذون أوامره بكل احترام واخلاص ، فتراهم لا يجلسون على الأرض بحضور الأب إلا بأمر منه ولا يتصرفون بشيء إلا برضائه .

ومن التقاليد التي كانت مرعية في الأسرة الموصلية ، ان الاولاد كانوا يزاولون المهنة التي يزاولها آباؤهم ، فعندما كان يبلغ أحدهم سن السابعة من عمره يذهب الى محل أبيه ويتدرب على الاعمال او المهنة التي يحترفها والده .

اما الأم ، فانها كانت ربة البيت فتأخذ على عاتقها ادارة المنزل ويعاونها في ذلك بناتها ، فتدربهم على الخياطة والغزل والنسيج والنقش والطبخ وغسل الأثاث وتنظيفها ، وقلما كانت الأم تستعين باحد من الخارج على أداء واجباتها . وكان البيت الموصلي مصنعاً صغيراً ينتج أغلب الحاجيات التي تحتاجها الأسرة من لباس وأثاث وغير ذلك .

والأب والأم كانا يحرصان كل الحرص على تربية أولادهما وفق التقاليد التي كانت سائدة في المجتمع الموصلي آنذاك ، وبها الشيء الكثير من الخرافات والجهل ، فكان الفرد يغار على سمعة أسرته ويتجنب الاعمال المستهجنة التي تسيء الى سمعة أسرته مهما كلفه ذلك من التضحيات .

ومن التقاليد التي كانت مرعية ايضاً في الأسرة الموصلية ، التكافؤ والتعادل بالنسب والاخلاق والسمعة عند المصاهرة ، مع صرف النظر عن الثروة ، والاسرة شديدة التمسك بالتقاليد الموروثة عن الاجداد ، واذا ما شذ أحد أفراد الاسرة عن هذه التقاليد وخالف عمله القواعد الاخلاقية ، فان جميع أفراد أسرته تتبرأ منه وتقصيه عن حظيرتها ، واذا كانت امرأة فيكون

مصيرها الموت غسلا للعار !؟

والاسرة الموصلية كانت مقتصدة ، تراعي قواعد الاقتصاد الى أقصى حد ، وتسعى بانماء ثروتها .

ومن الاخلاق التي كانت مرعية في المجتمع الموصلي ، الجد والصدق بالقول والعمل والوفاء بالعهود ومعاونة الفقير واحترام الصديق ومؤاساته ومشاركته أحزانه وأفراحه ، وكان الفرد الموصلي قلما يهزأ او يكذب ، لانه يؤمن ان الجد والصدق والاستقامة في الاعمال ، تؤدي الى سعادة الفرد ونجاحه في معترك الحياة .

ومما يجب التنويه عنه ان الفرد الموصلي بالرغم من الصفات الخلقية الحسنة التي اتصف بها ، فانه سريع التأثر بالدعاية المغرضة وتنطلي عليه الاباطيل وينخدع بالاقوال دون التأكد من صحتها ، فيثور ويتمرد دون أن يعرف السبب ، وهذا بالطبع يعزى الى الجهل والعصبية القبيلية . وهذه الظاهرة النفسية كانت قد أدت الى نشوب ثورات دامية ومذابح وحشية بالموصل في العصور الماضية بين سكانها من جراء التنافس بين الاسر المتنفذة فيها على الزعامة والمال والسلطان .

فقد استغل بعض المتنفذين هذه العاطفة الهوجاء وقاموا يبذرون روح الشقاق والتحزب بين طبقات الشعب مما أدى الى وقوع مذابح دامية بين السكان ، واستمرت هذه الاوضاع في الموصل حقبة من الزمن تعرف بـ (عصر القوغات) .

وبعد ان تغيرت الاوضاع السياسية في الموصل بتطور الزمان ، وزال عهد (القوغات) منها ، عمد المتنفذون في الموصل الى ابتكار طريقة جديدة

سلكوها وهي التقرب الى السلطة الحاكمة فى البلد ونيل رضاها وتمكين الصداقة معها بشتى الطرق لكي يستغلوا هذه الصداقة وهذا التقرب لدعم نفوذهم وفرض سيطرتهم على أبناء الطبقة العامة ليحصلوا على المزيد من المال والنفوذ ، وكم لاقت الموصل من الاهوال والشدائد من تنافس المتنفذين فيما بينهم على الزعامة !!؟

هذه نبذة مختصرة أوردناها عن الاخلاق والتقاليد التى كانت سائدة في المجتمع الموصلي في العصر الماضي .

***

ولقد كان للحرب العالمية الاولى الأثر السيء على أخلاق المجتمع الموصلي (والحروب تفسد الاخلاق) لان الطبقة العامة من أبناء هذه البلدة كانت قد لاقت أثناء تلك الحرب الضروس الاهوال من مجاعات وأمراض وأوبئة أودت بحياة عشرات الالوف من الانفس البريئة، خصوصاً من جراء احتكار المواد الغذائية وتهريبها الى الخارج من قبل المتنفذين ومن جور السلطة الحاكمة آنذاك . وعندما وضعت الحرب المذكورة أوزارها، أعقب ذلك ظهور طبقة من الأثرياء ، كانوا قد حصلوا على ثروة طائلة ونفوذ كبير بطرق معلومة !؟ لا يزال الاحياء من الذين شاهدوا تلك الايام السوداء يتذكرونها بأسف وألم !!؟؟

وكان من الطبيعي ان تتجه أكثر الناس الذين نجوا من الموت نحو الاساليب التى سلكها أثرياء الحرب والمتنفذين الجدد ، ومن الطبيعي (ان عبادة المادة تفسد الاخلاق) وانها تفكك الروابط بين أفراد الاسرة الواحدة وتسوق الانسان الى ارتكاب الجرائم الاخلاقية فى سبيل الحصول على المادة

التى أصبحت في عصرنا هذا مقياس الرفعة والوجاهة والنفوذ في بلاد يسودها الجهل ، فاندثرت المقاييس الحقيقية للاخلاق ، فكان من الطبيعي ان يتسرب الفساد الخلقي الى المجتمع .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية واحتلت الدولة الحليفة العراق !؟ ومن ضمنه الموصل !؟ وأخذت تجند لها جيشاً من عبدة المال وأذناب الاستعمار من أبناء هذه المدينة ، وشنت بهم حربا شعواء على ما تبقى من الاخلاق ، لا هوادة فيها ولا رحمة . فكانت النتيجة بعد ان وضعت الحرب المذكورة أوزارها ، الحالة الراهنة فى الموصل وغيرها من المدن العراقية ، من تفسخ عظيم فى الاخلاق ، وتدهور فظيع في كل ناحية من نواحي الحياة الادبية والمادية ، وان استمرار هذا التدهور الخلقي سيؤدي حتما الى نتائج خطيرة على هذه الامة .

—٣—

حفلات الاستقبال

نهج أمراء الموصل على اقامة حفلات الاستقبال على الطريقة التي كانت متبعة يومئذاك في مجلس الخلفاء ببغداد وقلدوهم بذلك ، فكانت مجالس الامراء والوجهاء والاغنياء تعقد في فيض من البذخ والاسراف لا حد له ، وكان السلطان والامير يجلس في صدر قاعة الاستقبال على العرش ، وعلى أبوابها الستور المزركشة ، وبين يديه الحرس في ثياب زاهية شاهرو السلاح ويقف حوله وعن يمينه ويساره رجال دولته ، ثم يأتي الموكب المؤلف من مماليكه وأجناده ووجوه المدينة وكبراؤها للسلام عليه في أيام مخصوصة كالاعياد

وأيام الجمع ويوم مولد الرسول .

ويصف لنا ابن جبير حفلات استقبال من التي أقيمت في الموصل على شرف أم معز الدين صاحب الموصل وبنت الامير مسعود بمناسبة عودتها من الحج فيقول المؤرخ المذكور :

« ومن أحفل المشاهد التي شاهدتها فى الموصل حفـلة استقبال الاميرتين المشار اليهما ، فقد خرج سكان المدينة باجمعهم رجالا ونساء ركبانا ومشاة ، وخرج ايضاً أمير البلد للقاء والدته مع زعماء دولته ، فدخـل موكب الحاج بمعية الاميرتين باحتفال عظيم وأبهة منقطعة النظير ، وكانوا قد جللوا أعناق إبلهم بالحرير الملون وقلدوها بالقلائد المزوقة ، ودخلت الاميرة بنت الامير مسعود تقود عسكر جواريها وأمامها عسكر رجالها يطوفون بها ، وقد جللت فيه هودجها بسبائك من الذهب مصوغة على شكل أهلة ودنانير وكان حجم الواحدة منها تساوي راحة الكف مشكوكة بسلاسل وتماثيل بديعة الصنع ، فلا يكاد يظهر من قبة الهودج موضع خال من ذلك ، اما مجموع ذلك الذهب فانه لا يحصى تقديره ، وكان مشهداً عظيما يبهر الابصار (١) » .

ومما جرت العادة به يومئذ ، انه فى شهر رمضان كان السلطان يدعـو الى مائدته كبار موظـفى الدولة لتناول الافطار ، كما كان يدعو في عيـد الفطر أشراف المدينة ، فينصب لهم الارائك في صدر قاعة الاستقبال، فيجلس عليها كبار رجال الدولة وأشراف المدينة وعلماؤها .

اما الطبقة المتوسطة فهي طبقة الصناع وهي صغيرة جداً فهي وطبقة العامـة وهم الجنود والعامة من العمال والمزارعـين ، فلم يكن لديهم شخصية قانونيـة

(١) ابن جبير ص ١٩٦

معترف بها ، وهم بطبيعة الحال محرومون من كل مظاهر الابهة والبذخ ، وقليل منهم من يعـلو عن طبقته بافلاته من الطوق الحديدي عن طريق انضوائه الى ميادين العلم والدين او رقيه في ساح القتال بعد اظهاره شجاعة.

—٤—

الثيـــــاب

كان أمراء الموصل يقلدون بطبيعة الحـال خلفاء بني العباس فى ألبستهم ، وكانت ثيابهم عبارة عن قفطان أسود او بنفسجي يصل الى الركبة، ويتمنطقون بمنطقة مرصعة بالاحجار الكريمة ، ويتشحون بعباءة سوداء، ويضعون على رؤوسهم قلنسوة مرصعة بالاحجار الثمينة . اما القفطان فقد كان مفتوحا عند الرقبة ليظهر القباء من تحته زاهياً .

والتقليد يسري بالطبع من الاعلى الى الادنى، فمودة الكبير هي الشائعة في المجتمع.

اما العلماء والقضاة ، فانهم كانوا يلبسون عادة عمامة سوداء لها شكل خاص مبطنة ، ويتسربلون بطيلسان أسود اقتداء بالنبي (ﷺ) وكان لباس الطبقة الراقية في العهد العباسي عبارة عن سراويل فضفاضة وقميص ودراعة وصدار وقفطان وقلنسوة مع عباءة او جبة. اما الاغنياء فكانوا يلبسون الجوارب المصنوعة من الحرير او الصوف ويسمونها (موزاج) وتسمى الآن (مست). اما لباس عامة الناس فتختلف أشكالها باختلاف المهنة والصنعة والاحـوال والطبقة التى ينتمون اليها ، وانما يقال بالاجـمال ان لباسهم بصورة عامة هو الدراعة والسراويل والقميص والقباء والجبة والجوارب والنعال (١) .

(١) تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ج ٥ ص ٨ ، ومختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي .

اما ملابس النساء الغنيات من الطبقة الراقية ، فهي عبارة عن السراويل والصدار والغلالة وكلها من الحرير وفوقها العباءة ، وكان غطاء الرأس (البرنس) المنضد بالجواهر والحلي بسلسلة ذهبية مطعمة بالاحجار الكريمة اما نساء الطبقة الوسطى فكن يزين رؤوسهن بقبعة مسطحة بالذهب، ويلففن حولها عصابة منضدة باللؤلؤ والزمرد وهو على جانب عظيم من الاناقة والبهاء وقد بقي مستعملا الى زمن متأخر جداً ، كذلك كن يلبسن الخلاخل في أرجلهن والاساور في معاصمهن والاقراط في آذانهن ويطوقن أعناقهن بسلسلة من الذهب مرصعة بالاحجار الكريمة ، ولا تزال هذه الحلي مستعملة عند نساء الموصل الى الآن ، وكن يستعملن بعض مستحضرات كصبغ الخدود والشفاه بالحمرة ووضع مسحوق (الاسبيداج) في وجوههن .

— ٥ —

مركز المرأة

لم يكن مركز المرأة في المجتمع الموصلي ليختلف عما كان عليه في البلدان الاخرى من الامبراطورية العباسية . وتحدثنا الرواية العربية ان بنت الامير مسعود الأتابكي ملك الموصل كانت قد اشتهرت بالتقوى وعمل الخير ، وقد أنفقت أموالا طائلة على تعبيد طريق الحج ، وأنشأت فيه خانات وسقايات كثيرة ، ووزعت صدقات على المحتاجين حينما سافرت الى الحج . على ان أمثال المرأة المذكورة لم يكن كثيراً في تلك الآونة ، فقد كانت المرأة بصورة عامة محرومة من الاعمال الاجتماعية وضروب النشاط الاجتماعي، لانها عبارة عن قطعة أثاث من بيت الرجل يستخدمها لتوليد الاطفال وتربيتهم فقط

— ٦ —

الأثاث والرياش

استعمل الموصليون في فرش منازلهم الكرويتات ، وهي سرر واطئة قصيفة العرض وتوضع عليها اليانات وهي حشايا قصيفة ايضاً وعليها النمارق ، وقد تستعمل اليانات على الأرض دون كرويتات وكلاهما يوضع على جوانب الغرفة . اما الوسط فكان يفرش بالحصران المصنوعة من البردي ، وتوضع فوق الحصير الطنافس والبسط المنسوجة من الصوف ذات النقوش المختلفة والملونة . وعند الطعام يستعملون مناضد مثمنة الشكل مصنوعة من خشب الأبنوس او الجوز مطعمة بالصدف او المحار لايزيد ارتفاعها على القدم ونصف القدم ، توضع فوقها صينية مستديرة كبيرة من الفضة او النحاس ذات نقوش هندسية محفورة ومطعمة بماء الذهب وعليها كتابات وأشعار . وتستعمل عامة الناس صحاف النحاس ، وكانت توضع بجانب كل صحفة ملاعق من خشب الأبنوس ، وكان الشراب يقدم قبل تناول الطعام في أكواب من زجاج ، ويصنع الشراب من الماء والسكر المزوج بمسحوق زهر البنفسج او الورد او التوت .

— ٧ —

الألعاب

كان الناس أثناء استراحتهم في منازلهم يتلهون في بعض الألعاب ، كلعبة الشطرنج او الزهر (الطاولة) .

اما الأغنياء فكانوا يقضون أوقات فراغهم في رمي النشاب والصيد بالبندق

وبلعبة الجوكان والصولجان وبسباق الخيـل ، وكان لها ميادين خاصة . ومن الألعاب السائدة يومذاك في الموصل ، المصارعة والمبارزة والقفز على الأقدام او على متون الخيل في الميادين العامة .

اما النساء فكن يجتمعن فى حفـــلات الزواج او الختان في بيت العريس ويرقصن على أنغام الموسيقى ، وكان الرقص السائد عندهن ما يسمى (الدبكة) وكن يلبسن أفخر ثيابهن المصنوعة من الحرير المقصب ، ويتجملن بالحلي والجواهر ، وعند ختام حفلة الرقص تمتد موائد الطعام وعليها مختلف الاكل وبعد ان يتناولن ما يشأن ، ينصرفن الى بيوتهن عند المساء .

—٨—

حفلات الزفاف

تستغرق حفلات الزواج اربعة ايام ، وتبدأ قبل الزفاف بيومـــين وتنتهي بعده بيومين . والليلة الاولى تسمى « ليلة الحناء » فيها تحضر أقارب العريس الى دار العروس . تبتدىء الافراح من غروب الشمس حتى منتصف الليل، وتنار الدار بالشموع ، ثم تجري حفلة تخضيب أيدي العروس ورجليها بالحناء ويجري تخضيب أيدي السيدات المدعوات .

واليوم الذى تنقل فيه العروس من بيت أهلها الى بيت زوجها يسمى « يوم النقشة » ، فيفد الى دار العروس من وقت الظهر المدعوات وهن من أقارب العريس وأصدقائهم ، وعند العصر يشرعون بتبديل ثياب العروس ويلبسونها ثوب العرس وهو من الحرير المطرز بالذهب ، ثم يقلدونها الحلي الذهبية . وبعد حلول العصر يحضر أصدقاء العريس وأقاربه الى دار العروس وينتظرون

خروج العروس ، فما ان تخرج العروس من دار أبيها حتى تحف بها النسوة ويحتاطها المنتظرون ويأتون بها الى دار العريس بالاهازيج والهوسات ، حتى تصل دار العريس ، فينحر على قدميها رأس غنم او أكثر حسب المقدرة ، وبدخولها تقف أم العريس في محـل مرتفع ، فترمي على رأسها السكر والدراهم ، وتقاد الى غرفتها فتجلس صامتة لا تنطق بحرف طوال مـــدة الاحتفال .

ويقوم أحد أصدقاء العريس الاقربين بعمل وليمة يدعو اليها جميع أقارب العريس وأصدقائه ، وتبدأ الوليمة (وهي وجبة عشاء) قبيل غروب الشمس بنصف ساعة وتنتهي عند حلول أذان العشاء ، فيغادر العريس الدار مـــع المدعوين الى أداء الصلاة فى الجامع ، وبعدها يتوجه الى داره ، وفى خلال ذلك يقوم المدعوون والاصدقاء باطلاق العيارات الناريـــة في الفضاء وبعض الهوسات كقولهم :

« ورد حاق صاق ناصي » فيجيب على هذا النداء المنفرد الباقـون « على عيني ورأسي هـ ... ي » .

ويدخل العريس الى داره حيث تنتظره العروس ، وينفض عقد المدعوين، وتسمى هذه الليلة « بليلة الدخلة » .

وتقام صباح هذه الليلة حفلات منها للرجال ومنها للنساء وتسمى «الصبحية» وهي تحريف من « الصباحية » وكلهـا في دار العريس ، يتخللهـا الرقص والدبك ، وعند ختام الحفلة تمد موائد الطعام مما تخلف من يوم أمس (عادة) فيتناول المدعوون الطعام والحلوى ، ويغادرون الدار الى بيوتهم وقد أزف المساء .

ويأتي اليوم الثالث وتسمى حفلاته (بالثيلث) وهي ترخيم لحرف الالف (الثالث) ويدعى لهذه الحفلة البنات والعذارى من أقارب العريس والعروس ويتخلل هذه الحفلة الرقص والدبك على أنغام الموسيقى ، وتمد موائد الطعام كالعادة وبها تنتهي الحفلة .

وفي اليوم الرابع تقام آخر حفلات الزفاف وتسمى حفلة (اليوم الرابع) وتدعى اليها أم العروس والنساء المتقدمات في السن من الاقربين ، وتوزع الأم الخلع النفيسة على أقارب العريس من نساء ورجال ، وهي في العادة عبارة عن ثياب ومنسوجات جميلة مصنوعة من الحرير الجيد .

وبهذا تنتهي حفلات الزواج .

وقبل ان نختم هذا الفصل ، نود ان نشير الى ان حفلات زواج المسيحيين وغيرها من الطوائف ، لم تكن تختلف عما ذكرناه إلا بقدر ما يهم المذهب منها ، كما نجد من الاوفق ان نذيل هذا الفصل بذكر بعض التقاليدوالعادات المتبعة فى كيفية الخطبة واختيار الازواج إتماما للفائدة .

—٩—

الخطبة (النيشان) وانتقاء الزوج

كان يراعى فى ذلك التقاليد والعادات الموروثة ، وكانت أكثرهذه التقاليد مبنية على التعصب والجهل ، فالرجل يختار شريكة حياته (الى الابد فى أكثر الاحيان) على الوصف دون الرؤية والاختبار ، فيعتمد على ما تدلي به أمه او أخته او قريبته (الخاطبة) له ، عن أوصاف البنت وسلوكها وقدرتها على ادارة المنزل وصحتها وأصلها وغير ذلك من الشروط التقليدية التي يجب

توفرها في الزوجة الصالحة . هذا من جهة الرجل ، اما من جهة الفتاة المخطوبة ، فالذى جرى التقليد والعرف عليه ، ان الفتاة لا كلمة لها في بعلها المنتظر ، وليس من الأدب أبداً ان تدلي برغبتها او عدم رغبتها في هذا الزواج المفروض او المدبر ، وبكلمة اخرى فهي أشبه بسلعة تباع وتشرى ، وكل اعتراض يبدو منها حول الموضوع يعتبر جريمة خلقية منكرة تستحق العقاب الصارم من قبل وليها .

ومن التقاليد المتبعة فى انتقاء شريكة او شريك الحياة ، هو التكافؤ والتعادل في الحسب والنسب والثروة والوضع الاجتماعي . والعادة الجارية في ذلك ان الفتى العازم على الزواج يفاتح أكبر قريباته سناً (أمه او جدته او أخته الكبرى) ويطلب منها ان تنتقي له الزوجة ، فتقوم الأم بالمهمة مستعينة باحدى السمسارات (الدلالات) اللاتي اعتدن ان يدرن البيوت لهذا الغرض بالذات ، فهن يعرفن كمية البنات الموجودات والمعروضات فى سوق الزواج .

وللأم دور هام فى عقد الزواج ، فعليها وحدها يتوقف القبول واتمام الزواج ، وكم منهن قد جلبن الشقاء الأبدي على أولادهن ، باستخدامهن عقلهن الضيق وذوقهن في اختيار شريكات حياة أولادهن ! . ان الأم لتختار احدى البنات ، فتذهب الى بيتهن زائرة بحاجة او حيلة ، فاذا راقت في عينيها ، ذهبت بعد ذلك ببضعة ايام بصحبة عدد من النسوة الى دار البنت حيث يفاتحن ذويها (الذين يكونون قد علموا بسبب الزيارة مقدما) والعادة ان تستفهم أم المخطوبة السؤال من جانبها عن أحوال الخاطب ووضعه المالي والاجتماعي ، ثم ترسل الجواب سلباً كان ام ايجابا . فاذا كان الأخير فتحضر والدة الخاطب مع عدد من النسوة الى دار المخطوبة ، كما يذهب عدد من

الرجال الى أبيها ويطلبون منه الطالب نفسه ، وهكذا تتم الخطبة .

والخطوة الثانية هي تعيين مقدار المهر المؤجل والمعجل ، فاذا اتفقا بدأت مراسيم المرحلة الثالثة وهي ما يسمى « بالنيشان » ، يتفق الطرفان على تعيين يومه وفيه تحضر أم الخاطب بعدد من النسوة الى بيت الفتاة ومعها حلية ذهب فتستقبل بالترحيب وتحضر المخطوبة وتجلس بين المدعوات والزائرات والاقارب وهي صامتة لا تنبس طول الزيارة ببنت كلمة ، وتقوم أم الخاطب وتقلد الفتاة الحلية ، ثم يغادرن الدار .

وبعد ذلك يتفق الطرفان على تعيين يوم الزفاف وارسال المهر المعجل الى العروس ، ويعين يوم لاجراء العقد (عقد النكاح) ويقام عادة في دار العريس ويحضرها عدد كبير من المدعوين ، ويقوم بتلاوة خطبة النكاح أحد علماء الدين وتوزع على الحاضرين الحلوى باكياس او مناديل ، ويعين يوم الدخول كما مر بيانه .

هذا كل ما رأينا وجوب ذكره بخصوص الافراح الموصلية ضاربين صفحاً عن التفاصيل فهي معروفة .

—١٠—

حفلات الختان وسبع القطن

ومن الحفلات التي كان الموصليون يستعدون لها وينفقون عليها بسخاء ، حفلة ختان الصبيان . فتقام الولائم الفخمة وتعقد مجالس الغناء والطرب قبل حلول يوم الختان باسبوع .

وفي ليلة العملية التي كانت تسمى « ليلة الحناء » تتلى في دار المختتن منقبة

المولد النبوي ، ويدعى الى سماعها (الاشراف) والاصدقاء وأبناء المحلة ، ويبدأ سماع المولد من بعد صلاة العشاء ويستمر فيه الى منتصف الليل ، وبعد الختام تبدأ (الحناء) يشترك فيها الشباب والصبيان ، فتوقد الشموع وتقرع الطبول والنقارات وتوزع الدراهم على الفقراء ويحضر الصبي المراد اختتانه يحف به أترابه من الصبيان ويستقبل بالاهازيج والتصفيق ويجلس في صدر القاعة ، وهي مزدانة بالرياش الفاخر ، وتربط الايادي المخضبة بالحناء بقطع من الحرير تهيأ لهذه الغاية . وتستمر الحفلة الى ما بعد منتصف الليل حيث يقوم المدعوون بالانصراف .

وفي الصباح المبكر من يوم عملية الختان ، يحضر المدعوون الى دار المختتن ، فيستقبلهم أبوه او ولي أمره عند الباب وتمتد موائد الطعام ، وبعد الانتهاء منه تقدم القهوة ، ثم يعقب ذلك موكب السير الذي يعبر عنه الموصليون بـ (التفتيلة) ويستحضر صاحب السماع عدداً كبيراً من الخيل او الجمال مع خيول المدعوين ومراكبهم وتجلل بالحرير الملون والطاقات وتقلد بالقلائد المزركشة . ثم تهيأ (سباع القطن) وهم من الصبيان الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة ؛ تطلى أجسامهم (بالدبس : عسل العنب) ، ثم تستر بطبقة من القطن الابيض المندوف بعد ان تنزع عنهم ثيابهم جميعاً (ينتقى هؤلاء من بين الفقراء من الناس وتعطى لهم أجرة) ، وقد يلون القطن بالوان مختلفة ، منها الاحمر والازرق والاخضر عدا الابيض .. وهكذا تستر أجسام الصبيان ولا يبان منهم غير عيونهم ، ويوضع على رؤوسهم قلانس طويلة (قبع) من القطن ايضاً ، ويوضع في أعناقهم قلائد من الجلاجل (الاجراس الصغيرة) ويحملون بايديهم عصياً قصيرة ويكونون في مقدمة الموكب ، يقومون

بحركات بهلوانية ويرقصون ويقفزون ويؤدون حركات مضحكة ، فينفحهم
المارة وعابرو السبيل نقوداً .

ويتألف الموكب بالشكل الآتي :

في المقدمة : سباع القطـــن ، يأتي وراءهم الطبالة ، ثم أبو الصرناية ، ثم
الخيالة يتوسطهم المختون .

وبعد ان يطوف الموكب أهم شوارع المدينة ، يعود الى دار المراد ختنه
وتجري عملية الختان على الوجه الآتي :

ينصب في صدر الايوان صفة كبيرة (مجلس) ذات مساند ، ويوضع في
محل الجلوس طراحة من الحرير ، ويتربع على هذا المجلس رجل قوي متين ،
ويؤتى بالمختتن ويجلس في حجر هذا الرجل ، فيمسك بيديه ورجليه ، ثم
يأتي الختان (وهو في العادة الحلاق او المزين) وتجري العملية بكل سرعة .

وهكذا تنتهي عملية الختان التي قد تستمر اسبوعا ، تنفق خلالها الامـوال
الكثيرة .

بطبيعة الحال كانت هذه الاحتفالات قاصرة على الاغنياء والمتنفـذين من
الناس ، اما الفقراء وطبقة الدهماء فكانت عمليات ختان أولادهم تجري بهدوء
وبدون أي احتفال ، وكثيراً ما كان الغني والد الصبي المختتن يتبرع بختان
أولاد المحلة الفقراء الموجودين في أحيائهم بمناسبة ختان أولادهم .

وقد جرت العادة ان يبدأ موسم الختان في الخريف وان يكون عمر
المختون حوالي السبع سنين .

— ١١ —

أيام الموصل وصبواتها

لكل مدينة أيام لهوها ومرحها في أوقات خاصة ، عدا أعيـادها الوطنيـة
والدينية ومناسباتها الأخرى . وللموصل أيامها الحوالي العظيمة الـتي تخرج
فيها عن وقارها وتبدو ضاحكة باسمة الثغر . وفصل الربيع هو وجه الموصـل
الضاحك حقاً .

ما ان تحل أيام هذا الفصل الرائعة إلا وتخرج كل جماعة تنتمي الى حرفة
معينة الى الخارج بضمنهم الأشراف والعلماء وأرباب المهن والصناعات المختلفة ،
يرتدون أجمل حللهم ، ويخرجون كل جماعـة على حدة الى أحد المتنزهـات
المجاورة مصطحبين معهم طعامهم وشرابهم ومقاعدهم وبسطهم ، ويقضون يوما
صاحياً كاملا في التمتع بجمال الطبيعة مع الاستمتاع بألعاب رياضية كالقفز
والمصارعة والجري سباقا على الأقـــدام والسباق على ظهور الخيل وتمثيل
الروايات الهزلية . وبعد ان ينفذ جرابهم من سائر هذه الألعاب وتخلو البطون
تمتد موائد الطعام وعليها شتى الآكال فيصيبون ما شاؤوا ، ثم يقيلون سويعة ،
وبعدها يستأنفون الحديث والمرح حتى تأذن الشمس بالغروب فيؤوبوا الى
منازلهم فرحين .

وقد بقيت عادة الاحتفال بالربيع جارية حتى قبيل الحرب العظمى الأولى
وكانوا يطلقون عليها اسم « حريفانة (١) » .

وكان الناس يقصدون الأديرة للنزهة ايضاً ، لافرق بين مسيحيهم ومسلمهم ،

(١) أنظر منهل الاولياء ، كذلك « الديارات » للشابشتي طبع وتحقيق الاستاذ
كوركيس عواد .

ومن أشهر تلك الأديرة ، دير وادي سعيد بظاهر الموصل المسمى الآن « مار ايليا » وقد وصفه الشاعر المعروف أبو عثمان الخالدي الموصلي بقوله :

يا حسن دير سعيد إذ حللت به ... والأرض والروض في وشي وديباج

فما ترى غصناً إلا وزهرته ... تجلوه في جلبة منها ودراج

وللحمائم ألحان تذكرنا ... أحبابنا بين أرمال وأهزاج

وللنسيم على الغدران رقرقة ... يزورها فتلقاه بأمواج

وهنالك ايضاً مرقد « قضيب البان » وتل كناسة ، وتل توبة الواقع في قرية نينوي ، ثم دير مار ميخائيل ، ودير ماركوركيس. وكان لهذه المتنزهات أيام خاصة في فصل الربيع يقصدها عموم الناس ليقضوا بها يوما كاملا .

ويمكننا حصر أيام الموصل الشعبية (وأكثرها تقع في الربيع) بما يأتي :

١ـ آخر أيام عيد الأضحى : يخرج به السكان على اختلاف مللهم الى تل توبة وبئر البنات (أصبح الآن من ضمن الموصل) في نينوى ويقضون يوما كاملا ومعهم غداؤهم .

٢ـ جمعة الخضر : وهي أول جمعة من موسم الربيع ، وكانوا يحتفلون بهذا اليوم احتفالا شائقاً ويصنعون بهذه المناسبة نوعا من الحلوى تسمى (حلاوة الخضر) ثم يقصدون مقام الخضر في (الجامع الاحمر) المعروف بجامع مجاهد الدين ، وبعد زيارته ينتشرون في الارض المجاورة له ، وبعد ان يقضوا يوما كاملا يعودون الى منازلهم مساء .

٣ـ أول اربعاء من شهر صفر (جنبر سوري) : يخرج الناس على اختلاف أديانهم الى المتنزهات الواقعة خارج سور المدينة ويقضون يوما كاملا .

٤ـ اثنين الجگنيغ: ويصادف في اليوم الثاني من صوم الحسين للمسيحيين،

يقضيه جميع السكان في النزهة خارج المدينة .

٥ـ أحد الطاهرة : يصادف هذا العيد ثالث أحد من صوم الحسين ، ويحتفل الموصليون بهذا العيد احتفالا شائقاً ، فيذهبون الى كنيسة الطاهرة وبعد أداء الزيارة والصلاة ينتشرون حوالي الكنيسة في الميدان الاخضر ويتناولون غداءهم وينصرفون مساء .

٦ـ عيد أحد مار كوركيس : ويصادف في رابع أحد صوم الحسين ، ويحتفل الموصليون ويستعدون له قبل يومين وذلك باستحضار الاطعمة الناشفة وفي الصباح المبكر للعيد يخرج السكان أفواجا بين راجل وراكب اليه ويقضون يوما كاملا في التلول والحقول المجاورة .

٧ـ عيد أحد ميخائيل : وهو في خامس أحد لصوم الحسين ، ولا يقل الاحتفال به عن زميله كوركيس .

٨ـ عيد البيرغاية : ويصادف في آخر يوم من عيد الفطر لليهود ، وسبب تسميته بهذا الاسم ان اليهود كانوا يطبخون لهم في هذا اليوم أكلة (البيرغ) الملفوف ويخرجون من الصباح الباكر الى الفجوة الواقعة أمام مرقد الشيخ فتح الله الموصلي الممتدة من باب سنجار حتى أرض (البنجة) يشاركهم في هذا المسلمون والمسيحيون .

-١٢-

المسرح والتمثيل

المعروف « بخيال الظل » والمسمى في الموصل بـ « حسن باشا »

قليل من مؤرخي العرب من بحث عن التمثيليات التي كانت تدعى في العالم

العربي « بخيال الظل » ، وفي الموصل « بحسن باشا » . ومما لا شك فيه ان هذا الفن هو من أهم الفنون الذي يعكس الحياة الاجتماعية بشكل صادق ، ويجب ان يدرس دراسة وافية .

تشير المصادر التاريخية ان مسرح خيال الظل قد تسرب الى البلاد العربية من بلاد الصين والهند وجزر الهند الشرقية (١) . وأقدم اشارة وصلتنا عن هذا الفن نجدها في كتاب « فوات الوفيات (٢) » . وأول من عرف بهذا الفن وكتب فيه وبرع ، هو الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعي الموصلي ، الطبيب والحكيم . قال عنه الشيخ صلاح الدين الصفدي :

« هو محمد بن دانيال ، ابن حجاج عصره ، وابن سكرة مصره وضع كتاب (طيف الخيال) ، فابدع طريقه وأغرب فيه ، فكان هو المطرب والمرقص على الحقيقة . كان له عيادة في باب الفتوح بالقاهرة يكحل العيون (٣) » .

اكتشف له المستشرق الالماني الاستاذ جاكوب على ثلاث تمثيليات ، الاولى اسمها « طيف الخيال » وهي تصور الحالة السياسية والثقافية بمصر على عهد السلطان بيبرس . يقول ابن دانيال عن مصر :

« لما قدمت من الموصل الى الديار المصرية في الدولة الظاهرية سقى الله من سحب الانعام عهدها وأعذب مشارب وردها ، فوجدت مواطن الانس دارسة وأرباب اللهو والخلاعة غير آنسة ومن لذة العيش آيسة . وهزم أمر السلطان جيش الشيطان وتولى الخوان والى القاهرة اهراق الخمور واحراق

(١) ثلاث مسرحيات عربية ، ترجمة محمد تقي الهلالي ص ٢٦ و ٢٧
(٢) فوات الوفيات ج ١ ص ٣٤٨
(٣) المرجع المتقدم ج ٢ ص ١٤٠

الحشيش وتبديد المزور واستتباب العلوق واللوطي وحجر البغاء والخواطي وشاعت بذلك الأخبار ووقع الانكار واختفى المسطول وقد آذى الخلاعة غاية الأذية وصلب ابن الكازروني في رقبته نباذية » .

يعتبر ابن دانيال من أشهر الشخصيات التي أسست هذا الفن ونشرته بمسرحياته الثلاث الخالدات « طيف الخيال ، عجيب وغريب ، المتيم (١) » .

ويغلب على ظننا ان ابن دانيال كان ملماً بهذا الفن متمرساً قبل ان يغادر الموصل بلده ومسقط رأسه ، وعليه لم يكن هذا الفن ببعيد عن أهالي الموصل وإن كان الكتاب والمؤرخون قد أهملوا ذكر ذلك ولم يلتفتوا اليه (ربما لتفاهته بنظرهم) .

والذي يؤكد لنا ذلك الاستعداد العظيم الذي نلقاه من الموصليين والميل الكبير لسماعه .

ان الشيوخ المسنين من أبناء الموصل لابد يذكرون نوعا من التمثيل يسمونه « بحكومة حسن باشا » . وقد اتضح لي بعد دراسة وتنقيب انه في عهد حكم باشوات العثمانيين لمدينة الموصل كان قد تولى ادارة هذه المدينة ولاة ظالمون اشتهروا بالجور والفساد ونهب مال الرعية ، حتى ضاق بهم الناس ذرعا ، ولاستحالة مصارحتهم ذوي السلطان بما يلاقونه من عنت وارهاق ، ولعدم وصول شكاويهم الى المقامات العليا في الاستانة ، اتخذوا التمثيل طريقة هزلية للافصاح عن استيائهم وآلامهم ، ممثلين الحاكم الظالم بالمسرحية المسماة « حكومة حسن باشا » وهو تعبير لا يزال حتى اليوم يطلق بلسان العامة في مناسبات خاصة وعلى مظاهر ظلم لا تخفى .

(١) ثلاث مسرحيات ص ١١

كان يقوم بالتمثيل فرقة مؤلفة :

١ـ من ممثل يتوفر فيه دقة النقد والمحاكاة وسرعة البديهة وطلاقة اللسان ومزج الجد بالهزل . يقوم بدور باشا المدينة ، فيرتدي ثياب باشوات الاقطاع ويضع على رأسه القلنسوة (القبلاق) المصنوعة من اللباد مخروطية الشكل ، مفصصة بالخرز والشذر وقطع النحاس الأصفر (جرق) ويلف حولها عمامة ويلتحي بلحية طويلة مستعارة وشوارب مسبلة وجبة مرقعة بشتى الخرق والألوان ويحتذي الجزمة (لالكة) ويجلس على سرير وبيده غليون يدخن ويصدر الأوامر .

٢ـ اما بقية الفرقة فتمثل حاشية الوالي او الباشا ، وتتألف من الكتخداء وهو مساعد الوالي ، وديوان افنديسي (كاتب الباشا) ، والسلاحدار وتفنكجي باشي ، والداروغا (مدير الشرطة او العسس) وعدد من الجنود والحراس يرتدون الالبسة التي كان يرتديها جنود الانكشارية في ذلك العهد ويحملون سيوف الخشب .

قلنا في ما سبق ان للموصل أياما تخرج فيها عن تزمتها ووقارها الثقيل وتبدو ضاحكة الثغر وإن كانت نادرة نوعا . ما ان تحل أيام الربيع الجميلة حتى تخرج كل جماعة تنتمي الى حرفة معينة الى خارج المدينة في متنزه ومعهم أطعمتهم ، وكثيراً ما تمثل مسرحية « حسن باشا » في الهواء الطلق وبهذه المناسبات .

يتربع المتفرجون على الارض أحدهم بجانب الآخر ، ويتصدر الجمع فرقة التمثيل ، ويستحضر سرير يجلس عليه بطل المسرحية ممثل دور « الباشا حسن » ويقوم عن يساره الكتخداء ، وتقف الحاشية خلف السرير على بعد

حوالي خمسة أمتار وهم شاهروا السيوف وعلى استعداد لتنفيذ الاوامر التي ينطق بها الباشا .

يأتي المشتكي وبيده عريضة مكتوبة على نعل حذاء الى الحراس طالباً عرض شكواه على الباشا والمثول بين يديه ، فتأخذ جماعة الحرس العريضة وتسلمها الى المهترباشي (رئيس التشريفات) فيسلمها هذا بدوره الى (ديوان افنديسي) وبعد ان ينظر فيها الاخير يحيلها الى الكتخداء الذي يقوم بتقديمها الى الباشا . عندئذ تصدر الاوامر باحضار المشتكي للمثول بين يدي السلطة الحاكمة ، فيدخل المشتكي بكل اتضاع وأدب وينحني أمام الباشا ويقف منتظراً بعد ان يقبل الارض مكتوف اليدين . وعندئذ يطلب منه الباشا عرض شكواه ، فيتكلم ، ولكن الباشا يتظاهر بالصمم ، فيضطر المشتكي الى ان يأتي الباشا من الوراء وينكب على قفاه ! ويصرخ بأعلى صوته شاكياً ظلامته ، وبعد لأي ، يفهم الباشا موضوع الشكوى ، فيحيل العريضة الى الكتخداء للتحقيق والنظر فيها .

فيأمر الكتخداء (كما كان في العادة آنذاك) ان يلقي القبض على المتهم دون تحقيق عن صحة الشكوى ودون افساح المجال له للدفاع عن نفسه واثبات براءته ، فتصادر أملاكه ويحكم عليه بالسجن وتفرض الغرامات إن لم يقدم الرشوة لزبانية الباشا او للباشا نفسه الذى كان بدوره لا يتعفف عن مصادرة أموال الناس ونزع ملكياتهم من منقول وغير منقول .

وكان يتخلل التمثيل مشاهد التعذيب الذى يجريها الباشا بالتاعسين الذين يقعون تحت طائلة يده ، تمثل بطريقة هزلية مضحكة تهكمية، لكنها مبكية لأنها تستر وتقنع للحقيقة الواقعة .

ان هذه المسرحيات ظلت رائجة السوق حتى مفتتح القرن العشرين حيث تبدل الذوق الادبي وضاق صدر الحكام بهذه المسرحيات النقدية المقذعة حتى انعدمت وزالت ولم يبق لها أثر يذكر في يومنا هذا .

—١٣—

مجالس الغناء والطرب فى الموصل

نهج الموصليون فى مجالسهم الغنائية وفى حفلات طربهم ، على نهج ما كان متبعاً في بغداد ، وكان الاغنياء ينفقون على حفلات الطرب مبالغ طائلة من الاموال وتعقد بفيض من البذخ ، فيقدم فيها الشراب والطعام الى المدعوين وتعقد حفلات الطرب على الاكثر فى الليالي بمناسبة حفلات الزواج والختان التي مر وصفها . وللموسيقى عند الموصليين مقام كبير وشغف عظيم ، لان الغناء قد دخل فى الدين وفي المآتم وفي الافراح وفى جميع نواحي الحياة الاجتماعية .

اما الآلات الموسيقية التي كانت تستعمل فى مجالس الطرب بالموصل ، فهي المزمار والطبل والدف والنقارة ، وهى آلات بسيطة والمركبة منها فهي الناي والقانون والربابة والعود والسنطور ، وكان يطلق على المغنين (القراء) وعلى العازفين (المطربين) .

اما المقامات الموسيقية التي كانت تستعمل في مجالس الطرب ولا تزال مستعملة الى يومنا هذا فهي :

١ـ مقام الرست ، ومن شعبه : البنجكاه والجهاركاه .

٢ـ مقام الصبا ، ويتشعب منه : الحديدي والبياتي والديوان والحسيني

والناري والابراهيمي والحيوري والبهرزاوي .

٣ـ مقام السيگاه ، وهو من المقامات الرئيسية في الموصل ، ومن أهم شعبه : الحكيمي واليوزبكي .

٤ـ مقام المنصوري ، وهو أكثر المقامات انتشاراً فى الموصل ، ومن شعبه المشهورة : المثنوي والعريبوني .

٥ـ مقام النوى ، وهو من المقامات الرئيسية ايضاً فى الموصل، ومن شعبه : النهاوند والنوروز واللامي .

على ان هذه المقامات أخذت في طريق الاندثار فى الموصل وحل مكانها الغناء المصري الحديث .

—١٤—

ألعاب فتيان الموصل وصبيانها

كان فتيان الموصل وصبيانها ككل الفتيان يقضون أوقات فراغهم في ألعاب عربية توارثها الأحفاد عن الأجداد . ومن هذه الألعاب ما اندثر ، ومنها ما هو في سبيله الى الاندثار ، ومنها ما زال موجوداً . ولما كانت هذه الألعاب تؤلف ناحية اجتماعية من سكان الموصل وتقاليدهم ، فلا مناص من ذكر شيء عن أهم هذه الألعاب مع نبذة وصفية لكل منها :

١ـ لعبة « المزراع » الدوامة :

فلكة يرميها الصبي بخيط فتدوم على الأرض ، واللاعبون بها كثيرون أحدهم الخاسر يرمي دوامته على الأرض ويقف ساكناً، ويأتي الآخرون فيشدون خيوطهم الغليظة على دواماتهم ويلقونها على الأرض ، ثم يتسارعون اليها

بأكفهم فيتلقفونها في راحاتهم وهي تدور ثم يضربون بها الدوامة الملقاة على
الأرض ، فاذا وقفت دوامة الخاسر المذكورة على وجهها المسطح عقب خبطها
بدوامة اللاعب اعتبر ناجحاً وخسر الاول وهكذا .

٢ـ حمام البندق « الزدو » :

وهو من لعب الصبيان بالجوز والبندق والمزادة موضوع ذلك ، والغالب
عليه الزاي يزدونه في الحفرة ، وزدا الصبي الجوز او البندق يزدو زدوا :
أي لعب ورمى في الحفرة وتلك الحفيرة هي المزادة ، ويقال ابعد المدى
وازده .

وكيفية اللعب ، هي ان يقف أحد الصبيان اللاعبين مضمنا الحمام ، ويقذف
اللاعب أثر اللاعب عن بعد ثلاث خطوات ما بيده من البندق فيعد الضامن
ما دخل الى الحمام ، فاذا كان فرداً أخذه لنفسه ، وإن كان زوجا أعطى
مثله للاعب .

٣ـ لعبة الطمة « المفايلة » :

والفيال ، هي لعبة الفتيان الاعراب بالتراب ، يخبئون الشيء بالتراب ، وعلى
الاكثر الخرز ، ثم يقسمونه قسمين ، ويقول الخابيء لصاحبه : في أي
القسمين هو ؟ فاذا أخطأ قال له : فال رأيك . وأكثر ما يزاول هذه اللعبة
البنات وكانت تسمى في الموصل (الطمة) وهي على وشك الاندثار .

٤ـ لعبة التبيلة « المدحاة » :

وهي أحجار على هيئة القرصة كانوا يحفرون حفرة ويدحون (يدخلون
متدحرجا) فيها بتلك ، فان وقع الحجر فيها غلب صاحبها وان لم يقع غلب ،
وقد وصف الاسدي المدحاة بقوله : المداحي والمسادي وهي أحجار أمثال

القرصة ، وقد حفروا حفرة بقدر ذلك الحجر ثم يدحون بتلك الأحجار
الى تلك الحفرة فقد قمر وإلا فقد قمر ويسميها صبيان الموصل الان
تبيلة .

٥ـ لعبة تسعة ـ والبيضة « التدبيح » :

كان العرب يمارسون هذه اللعبة . وتدبيح الصبيان اذا لعبوا وهو ان
يوطيء أحدهم ظهره كراكع فيجيء الاخر يعدو من بعيد حتى يركبه ،
والتدبيح ، والتطأطؤ ، واللاعبون عقيدان وفريقان من الأتباع ، يقف
العقيد الذي خسر القرعة ، مسنداً ظهره الى الجدار ويتقدم أحد أتباعه
فيضع رأسه على بطن العقيد ممسكا إياه من حزامه بقوة وثبات بينما يكون قد
قوس ظهره وأصبح كحصان أعد للوثوب عليه . ويتقدم آخر فيتخذ وضع
الاول ويتقدم الثالث والرابع والخامس الى آخر الاتباع الذين لا يتجاوز
عددهم الخمسة ، ويحصل من مجموع الاتباع الخاسرين حصان واحد طويل
ثم يتحفز العقيد الرابح فيتراجع الى الوراء ثم يهرول الى الامام بسرعة فمتى
وصل الى الحصان الطويل ضرب بايديه على الكفل وانشمر بكل ما عنده من
قوة وركب على عنق الحصان ثم يأتي أتباعه على نحو ما أتى العقيد ويعد
العقيد واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة ـ والبيضة .
ويجري العد بسرعة وطلاقة لسان وبدون تلعثم او غلط ، فان توقف أو غلط
في العد او سقط على الارض عند الطفر فيكون الخسران من نصيبه ونصيب
أتباعه ويعقبه التابع الثاني والثالث الخ.. ويفعلون فعله فيردد العدد الى التسعة
كما أوضحنا أعلاه ومن المحتمل في هذه اللعبة ان يركب أزيد من واحد من
الغالبين على ظهر واحد من الخاسرين فينبغي ان يثبت لهذا الحمل الثقيل ، فان

ساخت قوائمه او سقط على الارض فينزل الغالبون عن الحصان ويعيدون الركوب مرة ثانية . وقد اندثرت هذه اللعبة في الموصل ولم يعد لها أي أثر .

٦ـ لعبة الخويتمة « خراج » :

لعبة عربية كان وما زال فتيان العرب يلعبونها وهي ان يمسك أحدهم شيئاً بيده ويضم عليه قبضته ويقول لسائرهم أخرجوا ما في يدي .

٧ـ لعبة ملاجان « الحجورة » :

هي لعبة عربية حرف الموصليون أسمها وأطلقوا عليها اسم (ملاجان) وتتم بان يخط الصبيان خطاً مستديراً ويثبتون في مركزه وتداً يربطون الى طرفه حبلا معتدل الطول ، وعدد لاعبي هـذه اللعبة كثير ، يجيء كل واحد منهم بخراقه او كوفيته او حزامه فيبرمه برما محكما ثم تجري القرعة بين اللاعبين فيأخذ الذى أصابتـه القرعة برأس الحبل الاخر ولا يحق له ان يطلقه من يده أبداً ، أما اللاعبون فيضعون جواربهم او كوفياتهم او سترهم حول الوتد المضروب وسط الدائرة فيدور هذا حوله يمنعهم من الاقتراب اليها .

ومن يسعى الى اختطاف حاجته بالقوة يقابله حاميها برفسة من رجله ، فاذا صادف ان رفس أحداً من الدائرين ، حل المرفوس محـله اما اذا داهمه واختتل له أحدهم فأتيح له دخول الدائرة فمن حق هذا ان يوزع الكوفيات على أصحابها وهو قاعد ، فاذا حصل اللاعبون على كوفياتهم فكمن كانوا عزلا وتسلحوا يأخذون بالأنهيال على حامي الوتد ضربا بالكوفيات المبرومة اما هو فيحاول رفسهم ، فان رفس أحدهم ناوله الحبـل وحل محله قرب الوتد وهكذا .

وقد وصف أحد الشعراء هذه اللعبة بقوله :

كأن يدي بالسيف مخراق لاعب ... أجالدهم يوم الحديقـة حاسرا

٨ـ لعبة الحاح والكطة « المقلاء والقلة » :

وهي من أشهر العاب الموصل وأدواتها عبـارة عن عصا فيها بعض غلظ وعصيات قصار لا يزيد طولهـا على خمسة عشر سنتمترا ، يطلق عليها اسم (الحاح) يوضع الحاح في نقب (نكاب) او حفرة مائلا بحيث يخرج رأسه الى الأعلى ويمسك الضارب بطرف العصا التى لا يتجاوز طولها الياردة ، ويهوي بها على طرف (الحاح) فترتفع العصية الى الأعلى فيتداركها بضربة عصا تدفع بها بعيداً ويقف اللاعب الآخر على مبعدة يترقب طيران الحاح فيلحقه فاذا تلقفه وهو طائر يكون قد فاز ويحل محل الضـارب وإلا يسقط على الأرض فيدركه اللاعب ويمسك بطرفه ، وفي تلك الأثناء يمدد اللاعب الضارب العصا بوضع أفقي على الأرض ، فيرمي اللاعب الثاني الحاح مصوبا إياه نحو العصـا فاذا أصابها يفوز أيضاً ويحل محل الضارب . وهكذا تتداول اللعبة ويمكن ان تلعب بفريقين .

٩ـ لعبة « ابريسم ابريسم ، ايش » :

وهي لعبة موصلية قديمة اندثرت الآن يقوم بهذه اللعبة عدد من الصبيـان يقوم على رأسهم عقيد وجملة أتباع ، يجلس العقيد جلسة الآمر وبيده حزام من الجلد والى جانبه مساعده ، اما الأتباع فيشكلون نصف دائرة على بعد خطوتين او ثلاث خطى منها بحيث لا يسمعون ما يدور بين العقيد والمساعد لكنهم مستعدون كل الاستعداد لمراقبة ما تهمس به الشفاه ، ثم يتفق العقيد والمساعد على لون من الألوان سراً ، ويمد العقيد من ذلك البعد يده بالحزام ويبدأ بالجالسين واحداً واحداً وهو يقول « ابريسم ، ابريسم ، ايش » .

فمن حزر اللون المتفق عليـــه ، أعطي الحزام ، وأطلقت يـده في سائر
اللاعبين يضربهم به فينفرون منه وهو يلاحقهم ويضربهم حتى ينادي العقيد
قائلا (حلت) فعندئذ يجب ان يكف عن الضرب فوراً ، اما اذا لم ينتبه الى
نداء العقيد وضرب بعده ضربة واحدة فللاتباع الحق فى الهجوم عليه وضربه
على ظهره حتى يلتجيء الى العقيد ويحتمي به ، وهو وحده الذي يستطيع
ان ينقذه .

١٠ـ المختبوية « الشحمة » :

وهي لعبة تعود الصبيان على انقاذ الكمين (الحربي) ، يقوم باللعبة فريقان
من الصبيان كل فريق برأسه عقيد ثم تجري القرعة ، فيظـل الفريق الخاسر
فى ثوى لا يستطيع ان يبرحه ، بينما العقيد الغالب حر ، يتنقل كيفما يريد
فيقود أتباعه ويخبئهم فى البيوت ويتخللون بحيث يصعب العثور عليهم ويخفت
أصواتهم فلا يسمع لهم صوت ، وبعدان يطمئن العقيد الى حسن اختباء جماعته
يعود الى الفريق الخاسر ويقـول لهم اتبعوني ، فيتبعونه على خيفة لئـلا
يباغتهم أتباعه ، اما هو فيسير بهم قدماً حتى اذا اقترب من جماعته صاح فجأة
قاصداً أتباعه (كلوهم باربع كلوهم) مشجعاً مصفقاً بيديه .

فينقض أتباعه عليهم ويعملون فيهم ضربا ولا يطيق الخاسرون ان يتخلصوا
إلا اذا التجأوا الى الثوى ، واما اذا استطاعوا حل الكمين من قبل ان
يصرخ دليلهم قائلا (كلوهم) فلهم ملء الحق ان يسحبوهم الى الثوى كاسرى
حرب وهم يشبعونهم ضربا وإهانة .

التطبيب بالشعوذة والدجل

ورغم تقدم فن الطب بالموصل ونبوغ أطباء ماهرين فيها ، فان الخرافات
والشعوذة الموروثة منذ العصـور القديمة كانت ولا تزال هى المسيطرة على
عقول السذج من الناس فيما يخص العدوى بالامراض وطريقة معالجتها، فكان
السواد الاعظم من الناس يعتقدون ان معظم الامراض تشـــفى (بالعزامة)
او زيارة الاضرحة وقبور الاولياء والصالحين او باستعمال (الاحجبة) الـتي
تحتوي على كتابة بعض الرموز والاشارات غـير المفهومة ، فهذه هي الـتي
تقدر على طرد الارواح الخبيثة الـتي تولد الامراض والاوبئة ، ورغم تقدم
الثقافة والعلم في زمننا هذا نجد ان قسما من الناس ومعظم سـكان القرى
والارياف لا زالوا يعتقدون بصحة هـذه الشعوذة ويؤمنون بالخـرافات ،
وسنبحث عن أهم هذه الخرافات :

١ـ الاحجبة :

يقوم بكتابتها المشعوذون فيكتبونها بحبر أسود او أخضر او أحمر ، ثم
تلف الورقة وتوضع في جلد أحمر تسمى فى اللغة الدارجة بالموصل بالهمايل(١)
ويعلقها في رقبته او تحت ثيابه . والاحجبة تكون متنوعة ، منها لشفاء المرضى
ومنها للوقاية من الاصابة بالامراض المعدية ومنها لطرد الجن والارواح
الخبيثة لمن أصيب بالجنة ومنها لتحبيب الزوج او الزوجة وغير ذلك ، وقـد
أخذت هذه الخرافة فى طريق الزوال .

(١) وهي تصحيف من كلمة الحمائل .

٢ـ طاسة الاربعين :

كان الموصليون الى عهد قريب يعتقدون بتأثير (طاسة الاربعين) فيزعمون أنها تشفي الامراض العصبية وداء الكلب والحمى المزمنة وداء اليرقان وهي عبارة عن طاسة من النحاس الاصفر قطرها لا يتجاوز ١٥ سانتمتراً مكتوب عليها كتابات غير واضحة بشكل حروف متقطعة وداخلها نحو أربعين قطعة معدنية رقيقة كالصفيح مشكوكة بحلقة مثبتة بمحور في أسفل الطاسة فيوضع الماء فيها ويدار فيشربه المريض فيشفى على زعمهم .

وكانت الطبقة الجاهلة من المجتمع الموصلي تعتقد أنه اذا عض كلب من الكلاب السائبة شخصاً تحتم عليه حالا ان يراجع أحد الشيوخ ويقدم له ثلاث تمرات فيقرأ الشيخ بعض التعاويذ ثم يبصق عليها فيأكلها المعضوض فتتولد في جسمه المناعة من مرض داء الكلب .

وكان المشعوذون بالموصل يعالجون مرض الصداع المزمن بدق المسمار على الجدار بعد ان يقرأ عليه المشعوذ بعض التعاويذ بحضور المريض فيزعمون انه يشفيه !؟

ومن الخرافات التي كانت شائعة ايضاً بين الطبقة الجاهلة في الموصل ، ان السلسلة الحديدية المثبتة على جدار السرداب بكنيسة مار احوديمي اذا وضع طوقها برقبة أحد المجانين وطرح في السرداب المذكور مدة من الزمن فانه يشفى من مرضه ، وان الاغتسال بماء بئري مسجد الشيخ محمد المتعافي ومسجد الشيخ الخلال يشفى من مرض الملاريا ، وان زيارة مرقد علي الاصغر والاغتسال بماء بئره يشفى من مرض الصداع .

ومن الخرافات الشائعة عند الطبقة الجاهلة من أبناء الموصل ايضاً ، ان

مرقد الشيخ فتح الله الموصلي يشفي أمراض الشلل والجنون ، فاذا حمل المصاب باحد هذه الأمراض وطرح في المرقد لمدة ثلاثة ايام فيزعمون انه يشفى من مرضه .

٣ـ تسخير الجان لمصلحة الفرد :

كانت الطبقة الجاهلة في الموصل تعتقد بخرافة تسخير الجان لمصلحة الفرد بمجرد تلاوته القصيدة المسماة بـ (الجلجلوتية) المشهورة الى يومنا هذا والتي يضرب بها المثل بالموصل عندما يتهيج الفرد ، فيقال لا تسأل عنه فانه يقرأ الجلجلوتية !؟ ومطلع هذه القصيدة :

بدأت باسم الله روحي به اهتدت * الى كشف أسرار بباطنه انطوت
سألتك بالاسم المعظم قدره * بآج أهوج جلجلوت هلهلت
بصمصام طمطام وبالنور والضياء * بهراش مهراش به النار أخمدت
الخ ...

وكانوا يزعمون ان لكل حرف من أحرف الجلجلوتية أسراراً ويطلقون عليها (الحروف العلوية) ويزعمون ان لكل حرف خادما من الجن ، فعندما يتلى ذلك الحرف يحضر الخادم ويصبح تحت أمرة الشخص الذي يتلو الجلجلوتية ، فيطلب منه ما يشاء ، فيلبي طلبه .

ومعنى هذا ان المشعوذين كان لهم قاعدة عامة في الشعوذة والتسيطر على الجاهلين ، وهي ان يعمدوا الى كلمات غير مفهومة بل لا معنى لها ، وانما تشتمل على حروف ضخمة قارعة للسماع ، فيتأثر بذلك الجاهل ويعتقد أن ما يقوله هذا المشعوذ هو حقيقة راهنة لا غبار عليها .

هذه نبذة مختصرة ذكرناها عن التطبيب بالشعوذة والدجل ، على اننا اذا

درسنا منشأ هذه الخرافات التي تهيمن على عقول الطبقة الجاهلة من أبناء المجتمع الموصلي ، يظهر انها وراثية تناقلها الخلف عن السلف ، ومصدرها البابليون والآشوريون والمصريون القدماء ، وصلتنا بعد ان طرأ عليها بعض التغييرات والتحويرات بتأثير العوامل الدينية والاجتماعيـــة ، فأصبحت على الشكل الذي ذكرناه آنفاً .

ولا يغرب عن البال ان الشعوب التي سبقت مجتمعنا أشواطاً في مضامير الحضارة والمدنية الحديثة ، لا تزال على شيء كثير من الدجل والشعوذة والخرافات رغم تكاملها في شتى نواحي المدنية الحديثة .

ومما لا شك فيه ان هذه الخرافات هي في طريقها الى الزوال بفضل انتشار العلم والثقافة بين أبناء الطبقة العامة من مجتمعنا هذا .

—١٦—

المـــآتم

تحدثنا الأخبار والروايات التاريخية ان « الملك الظاهر » ملك الموصـــل عندما توفي سنة ٦١٥هـ ، كان قد عهد لابنه (نور الدين) أرسلان شاه بامارة الموصل وجعل (بدر الدين) وزيره وصياً عليه لأنه كان صغيراً ، وأمره بتدبير دولته ، وأرسل الى الخليفة يطلب منه التقليد والتشريف للملك الجديد كما أرسل الى الملوك وأصحاب الأطراف المجاورة يطلب تجديد العهد ، فلم يصبح إلا وقد فرغ من كل ما يحتاج اليه ، وجلس في قصر الأمارة للعزاء يستقبل الوفود من المعزين ، وبعد انتهاء العزاء أمر بتغيير ثياب الحداد(١).

(١) دائرة المعارف للبستاني ج ٥

يتضح من هذا بان اقامة مآتم التعزية في الموصل عادة قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل عصور سحيقة ، وانها تعدتها من الرجال الى النساء .

وقد لخص الرحالة الفرنسي الشهير (جان بانيست تافرنييه) مآتم الموتى التي شهدها ولا بد في بغداد أثناء مروره عليها في رحلته المشهورة (١) ، وهي لا تختلف بقليل او كثير عن مآتم الموصل ، واليك طرفا مما جاء في رحلته :

« اما جنائزهم ، فقد عنيت بملاحظة ذلك ، فعندما يمـوت الزوج تكشف المرأة رأسها وتنثر شعرها وترسله على أذنيها (وتطينه بالطين) وتسود وجهها بسخام القدور وتصنع حركات غـــريبة تستثير ضحك الغرباء بدلا من دموعهم .

« ويحضر جميع الاقارب والاصدقاء والجيران الى دار الميت ويمكثون هناك الى ميعاد تشييـــع الجنازة ، وفي ذلك الوقت تتزاحم النسوة بمختلف الوسائل السخيفة على اظهار حزنهن وذلك بلطم خدودهن ، والعويـــل كالمجانين ، ويبدأن فجأة بالرقص على صوت نقارة كالتي يحملها أصحاب الطبول وتبـــقى النسوة ينقـــرن . ومن جاري عاداتهم في المآتم ان تندب احداهن (النائحة) الميت (يعبر عنها الموصليون بالعدادة) مشيدة بشجاعته الفائقة وكرمه ومركزه الاجتماعي وغـير ذلك بشعر (موال) فيجيبهـــا الباقيات بعويلهن وولولتهن تسمع من بعيـــد ، ومن العبث ان يحاول المرء مؤاساة أبناء الميت لأنهم يبلغون من الحزن درجة يفقدون معها رشدهم وهم مضطرون الى سلوك هذا السبيل وإلا نالهم اللوم والتقريع على عـدم عطفهم على ذويهم الراحلين » .

(١) العراق في القرن السابع عشر ص ٨٢

ويستطرد الرحالة المذكور فى القول بصدد البحث عن مآتم التعزية ، بعد مواراة الميت التراب :

« ان أيام العزاء اعتباراً من مـوت المعزى به هي الاول والثاني والثالث والسابع والرابع عشر والاربعين والسنة، حيث يرد المعزون ، ويقدم الطعام، وحيث يقوم ذوو الميت بزيارة للقبر ينفقون فيها الكثير من المـال ، ويضطر الفقراء منهم ان يجاروا الاغنياء فى بذخهم والصـرف على مآتم الميت فيركبهم الدين ويضطرون الى بيـــع أولادهم الى الانكشارية ليسدوا بأثمانهم المبالغ التي تصرف على الميت » .

***

نقول : ومن العادات المتبعة عند الموصليـين ، ان النساء كن يصبغن ثيابهن بصبغ النيل لمدة سنة او اكثر ، ولا يخرجن من دورهن لمدة ستة أشهر إلا لزيارة المقبرة في أحوال خاصة جداً حـداداً على الراحل ، ويمتنعن من الذهاب الى الحمام . وعندما يحمل الجثمان فى الموصل يتقدمه رهط من الفقراء حاملين الاعلام الدينية ، والضاربون على الدفوف والنقارة (طبلية الباز) و (الخليلية) و (الصنوج) وهم ينشدون التواشيح الدينية بالحان محزنة طول الطريق ، ولا يباح للنساء مرافقة الجثمان لانه كما قلنا لا يجـوز لهن الخروج من الدار إلا فى أيام الخميس حيث يقصدن الضريح للزيارة .

هذه المظاهر خاصة بالأسر الغنية والكبيرة، اما الفقيرة منها فتخرج الجنازة بسيطة من كل احتفال وبدون جوق ، وكانت النساء يرافقن الجنازة ويمشين وراءها بعد الجماعة الذكور .

***

يفتح مجلس العزاء (الفاتحة) فى دار المتوفي للرجال والنساء كل فى مكان خاص ، ويستمر للرجال ثلاثة ايام ، يبدأ من الصباح حتى غروب الشمس ، وفي خلال هذه المدة يقوم بتلاوة القرآن الكريم القراء (يتراوح عددهم بين الاثنين والأربعة) بالتناوب . ويؤم مجلس الفاتحة أصدقاء المتوفي وعارفوه ، وأبناء محلته ، ومعارف ذويه .

اما مجلس النساء فيستمر اكثر من ثلاثة ايام ، يبدأ من اليوم الثاني للتشييع صباحا ، بتلاوة القرآن الكريم من قبل قارئات (ملايات) ثم يعقب ذلك مشهد (اللطم) فيغادر النساء غرف الدار الى الفناء او الايوان (صيفاً كان الوقت امشتاء) ويشكلن حلقة، تتوسطها النائحة او اكثر حسب مقدرة المستأجرين ومحبة الميت (من قلوب ذويه) وتبدأ بندب الميت ندبا مؤثراً ، معددة أفضاله وأعماله ومآثره ، حقيقية كانت ام زائفة (لأن النائحات يوجد لديهن قصائد مهيأة لمختلف الأعمار والمناسبات ، لا يفعلن أكثر من تغيير الاسم حينما جاء مكانه) فيرد عليها ذوو الميت باللطم والنواح والعويل باصـــوات كاصوات الحيوانات تصم الآذان . وفي اليوم الثالث يبلغ اللطم والنـــوح على أشده وأخزاه ، وتبدأ النساء المشتركات فى هذا المأتم بتقديم (الخلع) وهي قطع قماش من الحرير يعبر عنها الموصليون ؛ (الطاقات) او بيـدرات الذهب ، او الدنانير ، الى النائحات المحترفات ، ويستمر هذا المشهد المضحك حتى وقت الظهر ، وتقام مآتم العزاء عند النساء فى اليوم السابع واليوم الخامس عشر واليوم الأربعين على الوفاة .

والملاحظ ان هـــذه العادات في طريقها الى الاندثار بخصوص الندب والعويل والاقتصار على أيام التعزية الثلاثة .

الباب الرابع

الحالة الاقتصادية في الموصل

كانت الموصل ، ككل مدينة اقطاعية ، تعيش على ما يردها ويصدر عنها من المصنوعات الى البلدان والأرياف المجاورة ، والظاهر ان نصيب أهلها من المجاعات والقحط كان أقل بالنسبة الى المدن المجاورة الأخرى ، نظراً لما كانت تتمتع به تربتها من خصوبة ووفرة مياه دجلة في ضواحيها ، كما ان موقعها الجغرافي كان لها نعمة ونقمة في آن واحد . فهي من جهة محطة للقوافل تصل الشرق بالغرب ، ومن جهة اخرى موقع حربي مهم جداً وخطير ستراتيجياً من حيث هي مفتاح العراق من الشمال ، ومن حيث كونها توصل الجهات الثلاثة الشرق والغرب والشمال بنقطة تجمع واحدة . فمن يكون في يده حصن الموصل يكون في يده العراق جميعه .

والمؤرخون العرب الذين زاروا الموصل يروون لنا بان تربتها خصبة وهواءها معتدل وليس لسكانها سوى ماء دجلة وليس لديهم من دجلة زرع ولا ثمر إلا الشيء اليسير في عدوة دجلة من شرقيها ، وزروعهم ، مباخس (مطرية) وفواكههم تحمل من سائر النواحي .

وليس للموصل عيب إلا قلة بساتينها ، وعدم جريان الماء في رساتيقها وشدة حرها في الصيف وعظم بردها في الشتاء (١) وهي أقل البلاد ثمرة ، حتى

(١) معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٦

كان الذي يبيع الفواكه يتخذ له مقراضاً يقرض به عنقود العنب اذا أراد وزنه لقلته .

وبعدما استولى الأتابكيون عليها ، صرفوا همتهم الى حث الأهالي على غرس البساتين الكثيرة في ظاهرها حتى أصبحت على عهدهم من أغنى البلاد فاكهة (١) .

ويظهر ان سبب تأخر زراعتها قديماً وحديثاً ناشىء عن عدم وجود ري فيها رغم كثرة المياه الجارية في أراضيها والتي تنساب دون استفادة منها ، الامر الذي جعل الزراعة فيها عبارة عن مباخس تعتمد على الامطار . ورغم هذا النقص البارز فالموصل تعد من أهم المراكز الزراعية في الشرق الاوسط في انتاج الحبوب والبقول فيها اذا هطلت الامطار بغزارة في المواسم المعينة لنمو النباتات . وقد بلغ الخراج الذي كانت تدفعه الموصل مع ملحقاتها في عهد المأمون الى بيت المال ، اربعة وعشرين مليون درهم (٢) .

—١—

تربية الدواجن

اشتهرت الموصل منذ القديم في تربية الدواجن ، كالماشية والاغنام لكثرة المراعي الخصبة فيها . فيقول ابن حوقل :

« وللموصل بواد وأحياء كثيرة تصيف في مصائفها وتشتو في مشاتيها من أحياء العرب وقبائل ربيعة ومضر واليمن والاكراد ، كالمذبانية واللارية(٢) ، والدواجن التي تفرغ أهلها لتربيتها ، هي الجمال والخيول والبقر والماعز

(١) القدسي ج ١ ص ٤٣ (٢) تاريخ الخضري ج ٢ ص ٢٧٥

والجاموس ، وما زالت حتى الآن معدودة من أهم الحواضر التي تصدر المواشي الى الخارج ، واكثر تجار الموصل الآن يشتغلون في تجارة الاغنام والمواشي الاخرى ويملكون قطعانا وأعداداً كبيرة منها .

والظاهر ان الموصل سبقت المدن الاخرى فى تربية النحل ، ويروى انها كانت تدفع فى عهد خلافة المأمون الى بيت المال (٢٠ الف رطل من العسل الابيض سنويا) وهذه كمية كثيرة جداً .

-٢-

الصناعة

لم يكن للعرب قبل الاسلام صناعة خاصة بهم ، ولما جاء الاسلام وفتح العرب الممالك والبلدان وأخذت الاقوام غير العربية تعتنق الدين الاسلامي كالآراميين فى سوريا ، والكلدانيين والنساطرة في العراق ، والهنود والترك وغيرهم من الاقوام ، وقد كان لهذه الامم صناعات راقية جداً ، فكان من الطبيعي ان يستفيد العرب منها ويقتبسونها ، وبذلك أصبحت الصناعات المختلفة المنتشرة فى أجزاء المملكة العباسية مزيجاً من شتى الصناعات وسميت (بالصناعات العربية الاسلامية) .

ورغم كل ذلك كانت الصناعات المنتشرة في الاقطار التي تتألف منها الامبراطورية العباسية محتفظة بصبغتها القديمة ، ومعنى ذلك ان كل قطر يمتاز بنوع من الصناعات تختلف عن صناعة القطر الآخر .

ومن أهم الصناعات التي برز فيها العرب والمسلمون فى العهد العباسي هي النسيج والبناء والرسم وزخرفة الكتب وصنع الاسلحة وصنع الاواني النحاسية

والخزفية ونسج الطنافس (١) والبسط والدباغة والحفر على الخشب وصنع الحلي الذهبية والفضية . واشتهرت في كافة أنحاء العالم المتمدن يومئذ بنسيج القطن وعن اسمها شاعت في اوربا « الموصليات (٢) » وهو نوع من الأنسجة القطنية الرقيقة الصنع مع متانتها وحسنها .

ويذكر ابن الجوزي في كتابه « مرآة الزمان » انه كان فى مدينة الموصل ٧٥ الف نول للحياكة (جومه) وتسعمائة خان للحياك وهي أسواق خصصت لبيع المنسوجات القطنية .

وهذه الأرقام على ما فيها من زيادة توضح لنا مبلغ ما وصلت اليه صناعة النسيج فى الموصل وعدد أيادي العمال الذين كانوا يشتغلون فى هذه المهنة فى تلك العصور ، اما نوع المنسوجات التي كانت تنسج في أنوال الموصل فهي المنسوجات القطنية كالمحارم والمناشف وطاقات الحرير والأقمشة الصوفية كالشال والعباءآت والملاءآت والسجوف والشفوف والبسط والطنافس وغير ذلك ، وكان رغم التطورات السياسية والاقتصادية التي مرت على الموصل في مختلف العصور ، بقيت صناعة النسيج في الموصل رائجة تسد حاجة السكان . وفضلا عن ذلك كانت تصدر كميات عظيمة من المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية الى مختلف البلدان ، واستمر شيء من بقاياها الى الحرب العظمى الأولى ، وبعد ذلك أخذت الصناعات الأجنبية تزاحم منسوجات الموصل الأمر الذي أدى الى موتها وموت المئات الذين كانوا يزاولون هذه الصناعة وأصبحوا بدون عمل .

وكذلك اشتهرت الموصل بانتاج الحرير ونسجه، فتروي لنا الأخبار التاريخية

(١) الخضري ج ٢ ص ٢٧٥ (٢) تاريخ عمومي احمد رفيق ج ٥ ص ٤١٩.

ان سكان الموصل وملحقاتها كانوا يربون دود القز ويستخرجـون الحرير ، وكان هذا الحرير ينسج في أنوال الموصل ، وقسم منه يستهلك فى المدينـة ، وما يفيض عن الحاجة يصدر الى البلدان الأخرى. وكانت المنتوجات الحريرية المنتجة في المدينة من النوع الجيد وذات ألوان زاهية تصنع منهـا الطيالس والجبب ولباس الأمراء والوزراء وغطاء الرأس (البرنس) وثياب النساء. ولوفرة الحرير وكثرة المنسوجات الحريرية كان السكان يجللون أعناق خيولهم وجمالهم ومواكبهم بالحرير الملون أثناء الاحتفالات والاستقبالات .

واشتهرت الموصل منذ القديم بصنـاعة النحاس الأصفـر والاحمر، فقد عثرنا على محبرة او (مقلمة) فاخرة من النحاس الاصفر صنعت في الموصل فى القرن السادس الهجري طولها (٣٠) سنتمتراً وعرضهـا (٧،٥) سنتمتراً وارتفاعها (٦،٥) سنتمتراً ، ذات غطاء جميـل ، جهاتها مزخرفة بزخارف وكتابات بديعة حتى الوجوه الداخلية منها، اما واجهتها بصورة خاصة فكانت زخارفها وكتاباتها مطعمة بالفضة، وآثار هذا التطعيم لا تزال ظاهرة فى البعض من أقسامها .

ولا تزال صناعة النحاس باقية في الموصل الى يومنا هذا ، لكن أصابها بعض الفتور لاعتياض الأسر المثقفة عنها بأواني الالمنيوم وصحاف الصيني .

اما السكان الآخرون وسكنة الارياف فما زالوا يشترونها ويستعملون القدور والاباريق والطسوت والصحون والصحاف والملاعق والسطول النحاسية ، وكلها تصنع اليوم خالية من أي كتابة او زخرف ، وهـذا دليل على قرب انقراض هذه الصناعة ، وما زال لاصحاب هذه المهنة سوق خاص اسمـه (سوق الصفارين) .

ومن الصناعات التي كانت وما زالت باقيـة الى يومنا هذا ، ما يصنع من الحديد كالمغازل والصفـارات والاسياخ والقيود والزرد والمباضع والنعال والمسامير والمناجل والمطارق والاقفال والمفاتيح والمغالق والسكاكين والخناجر والسيوف والفؤوس والكلاليب واللوالب والمعاول والمقالع وغير ذلك .

—٣—

الدباغـــة

إشتهرت الموصل بالدباغة ايضاً ، وقد ساعد على تقدم هذه الصناعة وفرة الجلود الحيوانية فيهـا ، وكانوا يصنعـون منها السروج والاحـذية والصناديق وما شاكل ذلك ، وما زالت هـذه الصناعة موجـودة الى يومنا هذا .

—٤—

الخزف

كانت صناعة الخزف في الموصل في العصور الوسطى متقدمة جـداً ، وكان يصنع من الخزف القلل والخوابي والدوارق وأصص الازهار وغيرها من الاواني الخزفية . وقد عـثرنا على كاشاني وآجر بديع متقن في المراقـد والاضرحة القديمة الموجودة الآن في المزارات الدينية بالموصل ، منها أنواع مختلفة من الكاشاني الملون يلطب به ضريح « النبي يونس » وغرفـة « ضريح النبي جرجيس » كما اننا شاهدنا في مرقد الامام « يحيى أبي القاسم » أشكالا مختلفة من الآجر كالمقرنصات والافاريز وزخارف هندسية وزهرية وكتابة آيات قرآنية بالخط الجلي من الآجر على جانب عظيم من النفاسة والاتقان،

وهي خير مثال يوضح لنا ما قد وصلت اليه هذه الصناعة من الرقي في الموصل أبان القرنين الخامس والسادس الهجريين ، غير انها تضاءلت الآن وانقرضت إلا ما ينقشه النحاتون على أضرحة المرمر .

— ٥ —

الصياغة

كان وما زال صاغة الموصل يشار اليهم بالبنان في تفننهم بعمل الحلي الذهبية والفضية وتطعيمها بالميناء والفصوص والجواهر .

ومن الصناعات التي كان لها شأن عظيم في الموصل، صناعة صب الشمع وسكبه (قبل الغاز والكهرباء والنفط) واليوم قل من يعني بها إلا في دوائر ضيقة في الاديرة والبيع المسيحية .

كانت الموصل تصنع شموع العسل او الشحم، وتوضع على جوانب المحاريب والمزارات في الجوامع والمساجد والبيع والكنائس ، ويستعملها الناس ايضا لانارة دورهم . وقد وصف ابن جبير الشموع الموصلية أثناء زيارته جامع النبي يونس بقوله « ويطوف بهذا البيت شمع كأنه جذوع النخل عظما » فلا عجب إن كان في الموصل حي يشتغل سكانه جميعهم بهذه الصناعة يسمى بـ « حي الشماعين » .

— ٦ —

النحت والتصوير

مهما كان الجدل الذي أثير حول مشروعية التصوير في الاسلام ، فان الفنانون المسلمون كانوا قد عدلوا عن زخرفة الجوامع والمساجد والاضرحة

والمباني الدينية برسوم الكائنات الحية ، واعتاضوا عنها بالاشكال الهندسية والزخارف الطبيعية من أزهار وما شاكل ، وأبدع ما وجد منها وعاش حتى الآن ، ثلاثة ألواح سحبت عليها صروف الحدثان أذيالها وعبثت يد الدهر بروعتها وهي في الجامع النوري ، كانت مرتكزة فوق المحراب الكبير في وسط المصلى على شكل محاريب مصنوعة من الجبس ذات نقوش هندسية ملونة، في وسطها كتابات بآي الذكر الحكيم بالخط الكوفي، يتخللها نقوش زهرية بارزة يندر مثيلها الآن .

وقد وجدنا ايضاً باب ضريح الامام الباهر في الموصل يرجع تاريخ نحته الى أواسط القرن السادس الهجري ، يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار وعرضه متران ونصف متر ، وهو من المرمر الازرق ، يحيط به من جوانبه الثلاثة أفاريز من المرمر مكتوب عليها آية الكرسي . اما في أعلى الباب فيؤلف تاجه ثلاث قطع من المرمر الازرق منحوتة على شكل أصص مسننة متداخلة ، مكتوب على القطعة اليمنى كلمة (الملك) اما القطعة الوسطى فمزخرفة بنقوش شجرية متقاطعة وبارزة ، وعلى القطعة اليسرى كلمة (الله) وهذه القمة مرتكزة على ركنين من المرمر الازرق ايضاً ، قد نحتت كل منها ألواحا اربعة مستطيلة صغيرة يبلغ طول الواحد منها (٦٠) سنتمتراً وعرضه عشرين ، ويحيط بكل منها أضلاع بارزة تشبه حراشف الاسماك ، وتكون ثعبانين يتوازيان ثم يتقاربان ويتشكل منها قوس ، ثم يتقاطعان ويشكلان لوحة اخرى، وهكذا حتى تنتهي الالواح في أعلى الركن برأس الثعبانين . اما ذنبها ، فهو عند القاعدة السفلى لأول لوح ، وقد التوى كل منها على رأس طير ، وفي كل لوح نقوش جميلة ناتئة ويعلوها رسم مجموعة من اهرامات مثلثة بديعة التركيب.

وكذلك وجدنا حجر سوداء ارتفاعها (٣٣) سم وعرضها (١٥) سم أثناء
تفتيشنا في أنحاء ضريح الامام ابراهيم ، على غاية الأهمية ، تكشف لنا ناحية
مجهولة من فن التصوير العربي لم نعثر على مثله لها في الموصل .

لقد كتب فى أعلى الحجر ما نصه « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلي على
محمد » ثم تأتي الآية « ان أول بيت وضع للناس ... » الى قوله « مقام
ابراهيم » . وقد انكسر موضع الكلمتين « ببكة ، مباركا » ، وبعد تمام الآية
تصوير الكعبة مع الحرم . لقد حفر هذا الرسم مع الصورة المذكورة وظهر
ناتئاً فكان فى غاية الابداع والاتقان والوضوح ، وفي أعلى التصوير مكتوب
هذه العبارة :

« من دخله ، كان آمناً »

وتحت التصوير مكتوب :

« هذا المسجد عمره الأمير ابراهيم الجراحي وهذه التربة تربة حسنة خاتون
بنت القرابلي رحمة الله عليها وعلى ابراهيم الجراحي » .

ثم تأتي هذه الكلمة :

« عمل عبد الرحمن بن أبي حمزة »

والكتابات كلها بارزة .

***

ومما اشتهرت به الموصل ، المصنوعات الخشبية والحفر على الخشب مع
التكفيت . وقد عثرنا على باب خشبي لضريح النبي جرجيس في الموصل ذوي
مصراعين ، يبلغ طول كل مصراع مترين وعشرين سنتمتراً وعرضه (٦٧) سم
وقد حفرت عليه زخارف تزيينية دقيقة كما حفر على الاطارات المحيطة بألواحه

كتابة كوفية محفورة على أرضية مزخرفة ، يرجع تاريخ صنعه الى أواخر
القرن السادس الهجري وهو من خشب الصاج ، ويمكن ان نعتبره خير
انموذج لما وصلت اليه النجارة من تقدم فى الموصل . كانت الاشياء الدقيقة
وبعض الارائك والكراسي الثمينة تطعم بالصدف ، اما الاخشاب المستعملة
آنذاك فهي خشب الجوز والتوت والجنار والصفصاف الخ ...

—٧—

التجارة

كان للموصل شأن عظيم في التجارة نظراً لموقعها الجغرافي النادر على نحو
ما ذكرنا آنفاً وعلى الاخص فى القرنين الخامس والسادس الهجريين، ويروي
المؤرخون العرب عنها بانه قل ما عدم شيء من الخيرات في بلد من البلدان
إلا ووجد فيها . فكانت تصدر الى البلاد المجاورة لها ما يزيد على حاجتها من
منتوجات كالحبوب والاغنام والمواشي والاصواف والجلود المدبوغة، وتستورد من
الهند السكر والبهارات، وعن طريق سوريا تستورد الاحجار الكريمة والزجاج
والسكر .

وكانت الضرائب تجبى على عهد العباسيين ثم الاتابكيين على المصادر التالية :

١ـ الخراج .

٢ـ الاعشار او ضريبة الدخل (العشر والزكاة والصدقة) .

٣ـ أخماس المعادن .

٤ـ الجزية .

٥ـ المكوس .

٦ـ الملاحة وصيد الاسماك .

٧ـ الضرائب التي تؤخذ على أصحاب الحوانيت لاستعمالهم المحلات العامة كالشوارع والميادين .

٨ـ ضرائب المهن والصناعات وغيرها .

٩ـ ضرائب الكماليات .

١٠ـ الكمارك .

كانت هذه الضرائب تجمع في بيت المال ، فكان ينفق بعضها فى شؤون الجيش والتسلح وادارة الملك ، ويدخر ما فضل منها في بيت المال .

وقد بلغ الخراج الذى كانت الموصل وما يليها تدفعه فى العهد العباسي الاول الى بيت المال اربعة وعشرون الف الف درهم « ٢٤ مليون درهم » وعشرون الف رطل من العسل الابيض (١) » .

وفي عهد خلافة المعتصم بلغ خراج الموصل سبعة آلاف الف درهم (٧ ملايين درهم) وقد جبت مراراً كثيرة عشرة آلاف الف درهم (١٠ ملايين درهم) وما يجبى على العسف بلغ اربعين الف الف درهم (٤٠ مليون درهم) وآخر ما صارت اليه ما بين اربعة آلاف الف (٤ ملايين) الى خمسة آلاف الف درهم (٥ ملايين درهم) وفى أواخر أيام خلافة المتوكل جبت اربعة آلاف الف درهم (٤ ملايين درهم) (٢) .

(١) تاريخ الخضري ج ٢ ص ٢٧٥
(٢) كتاب البلدان تاليف محمد بن محمد بن محمود بن أبى بكر السمرقندي مخطوطا .

الباب الخامس

النواحى الملحقة بمدينة الموصل قديماً
وتقسيماتها الادارية

—١—

تمهيد

تحدثنا المصادر التاريخية ان سعداً بن أبي وقاص بينما كان يطارد فلول جيوش الفرس المنهزمة في الأراضي العراقية ، كانت الموصل وملحقاتها قدتم خضوعها للروم الذين استولوا على ديارها سنة ٤ هـ — ٦٢٥ م ، حيث زحف هرقل في هذه السنة بالذات على بلاد فارس واستولى على « حدياب » - بلاد الموصل - وعلى بلاد « بيث كرماي » - باجرمي - وهى ديار شهرزور .

فكتب الخليفة عمر بن الخطاب سنة ١٦هـ — ٦٣٧م (١) الى سعد بن أبي وقاص يطلب منه ارسال حملة يعقد لواؤها لـ « عبد الله بن المعتم » لفتح بلاد الموصل ، ونزولا عند رغبة الفاروق عمر هذه ، سير عبد الله بن معتم المذكور قوة من الجند تضم نخبة من قواد العرب المشهورين منهم « الحارث بن حسان الذهلي » و « فرات بن حيان العجلي » و « هاني، بن قيس » و « عرفجة بن هرثمة البارقي » ، وكان على رأس هذه الحملة مجهزها وقائدها العام « عبد

(١) ابن الاثير ج ٢ ص ٢٢١

الله بن المعتم » .

سارت هذه الحملة الى الموصل ، وما لبثت ان التقت بجيش الروم قريباً من « تكريت » فنشب القتال بين الطرفين ودام اربعين يوما سجالا . وكان مع الجيش الروماني قبائل عربية موالية للروم من تغلب ونمير وأياد والسنهارجة، لكنها ما لبثت ان انفصلت عن الروم وانحازت الى بني جلدتها وطفقت تحارب في صفوفهم . وأثخنوا فى الاروام وأعملوا فيهم السيف، وقتلوا منهـم عدداً كبيراً(١) ولاذ من بقي من الروم بأهداب الفرار، فتقدم الجيش العربي المظفر بقيادة ربعي بن الافكل الى الحصنين : الشرقى وهـو المعروف بـ(نينوى) والغربى وهو المعروف بحصن (الموصـل) ، فافتتحها وصالحه أهلها على الجزية (٢) .

وتشير المصادر التاريخية ان الخليفة عمر بن الخطاب كان سنة ٢٠هـ—٦٤٠م قد عين عتبة بن فرقد أميراً للموصل . فلما أتاها قام عليه أهل نينوى ثائرين، فاخذ حصنها عنوة ، ثم عبر دجلة ، فصالحه أهل الحصن الغربى (الموصل) على الجزية .

كان الجيش العربى المظفر قد استولى على بلاد « بانهزاد » ـ زاخـو ودهوك ـ وعلى بلاد المرج ـ العقر والزيبار ـ وعلى بـلاد حبتون ـ وهي المنطقة الجبلية ابتداء من الزاب الأعلى ـ وبلاد داسان ـ من داسن : وهي المنطقة الجبلية الواقعة غربي الزاب الأعلى الى جنوب العمادية ـ وعلى بلاد قردى ـ المنطقة المعروفة الآن ببهنان ، الى شمال جزيرة ابن عمر ـ وناحية بازبدى ـ جزيرة ابن عمر وتوابعها ـ .

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٢١ (٢) ابن الاثير ج ٢ ص ٢٢١

وكانت نواحي الموصل كثيرة السكان ، واسعـة الأرجاء ، غنية بثرواتها الطبيعية .

بعد ان وطد « عتبة بن فرقد » شؤون هذه البلاد المفتوحة ونشر لواء العدل والمساواة بين سكانها ، استولى على بلاد شهرزور وضمها الى الموصـل وبذلك صارت الموصل قاعدة لهذه الأمارة المؤلفة من ألوية الموصل واربيل وكركوك والسليمانية الحالية ، تمتد شمالا الى ما وراء جزيرة ابن عمر، وشرقا الى بلاد اذربيجان وجنوبا حتى تكريت وغربا الى نهر خابور الفرات .

وبعد « عتبة » جاء على ولاية الموصل « هرثمة بن عرفجة البارقى (١) » .

وفى العهد الأموي ظلت هذه الملحقات مرتبطة بالموصل مدغمـة فيها حتى انفصلت عنها في أواخر خلافة هرون الرشيد العباسي . وعندما وهن عظم الدولة العباسية واستولى الضعف على خلفائها ، أصبحت الموصل وملحقاتها فى اضطراب شديد واجتاحتها الثورات الدامية والحروب الضروس المستمرة ، وهذا استتبع حتما قيام أمارات صغيرة فى هذه الرقعة المترامية ، تخضع اسمياً الى الحكومة المركزية ، ولكنها مستقلة عنها تمام الاستقـلال فى شؤونها الادارية والداخلية. وكان من طبيعة هذه الامارات الصغيرة الشغب والدسائس والاخلال بالأمن العام وشن الغارات أحدها على الاخرى وتقويضها ونهب الامارات المجاورة والفتك بالسكان فتكا ذريعاً دون رقيب او حسيب اوسلطة كبرى رادعة .

هذه الامور كانت أحيانا تضطر بعض الخلفاء العباسيين على ضعفهم (الاقوياء منهم) الى تجريد حملات يقودونها بانفسهم الى هذه النواحي لمطاردة المشاغبين

(١) ابن الاثير ج ٣ ص ١٩

وقطاع الطرق من أمراء هذه الامارات . ولما تسلم الاتابكيون زمام الحكم، هدأت الاحوال هدوءاً نسبياً في هذه المنطقة .

ظلت الموصل تتمتع بحكم هادىء بعض الشيء يتخلله بعض الحملات الصغيرة والتجريدات العسكرية ، حتى اندفاع المغول من أقاصي الصين ومهاجمتهم البلاد وتقويضهم عرش العباسيين .

—٢—

ملحقات الموصل ونواحيها القديمة

يقول الحموي : قالت القدماء : « ومن أعمال الموصل وملحقاتها، الطبرهان والسن والحديثة والمرج وجهينة والمحلبية ونينوى وبارطلى وباهذراوحبتون وكرمليس والمعلة ورامين وباجرمى ودقوقا وخانيجار (١) » .

من هذا يتضح ان هذه المواقع هى ما تدعى الآن « بالاقضية والنواحي » التابعة ادارة بمركز الموصل (اللواء) وانها كانت مرتبطة بالمدينة المذكورة، وقد ظهر لنا انها كانت تدار من قبل عمال أطلق عليهم في أواخر أيام الدولة العباسية باسم « الشحنة » .

وأمير الموصل كان يختاره الخليفة بنفسه، وكانت وظيفة الامير ادارة شؤون الامارة وملحقاتها ، وذلك بتفويض مكتوب، وكان له ان يقصيه عن الامارة ويعين غيره وهكذا .

وسنتكلم بصورة موجزة فيما يأتي عن النظام الاداري للامارات في عهد الدولة العباسية الذى تحدثنا عنه المصادر بما يدل على انه كان ـ من حيث

(١) معجم البلدان ج ٨ ص ١٩٨

توزيعه مرافق العمل ـ من أحسن النظم ادارة وكفاءة حتى ليمكن مضاهاته بالنظم الادارية الحديثة .

—٣—

نظام الادارة والحكم على البلدان (١)

كانت الامبراطورية العربية في قرون ازدهارها ـ من القرن الثانى حتى الخامس الهجري ـ أشبه باتحاد Federation يتألف من ولايات كثيرة ، لم تكن علاقة السلطة المركزية بها علاقة إشراف تام مباشر بسلطة تنفيذية ذات اختصاص عمومى في المرافق العامة ، وانما كان لكل ولاية ديوان خاص مقره العاصمة (بغداد) يدير شؤونها ، وكان كل ديوان من هذه الدواوين (وعددها بعدد الولايات) ينقسم الى قسمين : ديوان الأصل واختصاصه وضع الضرائب وحملها الى بيت المال ومراقبتها وتقوية مواردها(٢) والثانى هو ديوان الزمام او الازمة « ديوان المال (٣) »، ثم جمعت الدواوين أيام المعتضد (٢٧٩ـ٢٨٩هـ) الذى يعده بعض المؤرخين خير عقلية ادارية ظهرت في الدولة العباسية ، وجعلت ديوانا واحداً هو « ديوان الدار (٤) » وقسم الى فروع ثلاثة :

١ـ ديوان المشرق .

٢ـ ديوان المغرب .

٣ـ ديوان السواد (العراق) وكانت الموصل خاضعة له .

(١) تراث الاسلام تعريب الاستاذ جرجيس فتح الله المحامي ج ١ ص ٣٤
(٢) كتاب الخراج لقدامة بن جعفر .
(٣) تجارب الامم لابن مسكويه ج ٦ ص ٣٣٨
(٤) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لابي الحسن الصابى ص ٤٣٩

وعلى كل حال فلتبسيط الموضوع ، لنا ان نفترض ان الهيئة التنفيذية التي تساعد الخليفة في ذلك الوقت ، كانت مؤلفة من وزارتين فقط : وزارة الداخلية (وهي ديوان الأصول) ثم وزارة المالية (وهي ديوان الزمام او الازمة) ، وكان لكل ديوان او وزارة ، دواوين فرعية ومجالس ، كديوان الجيش ومجلس الكراع وديوان البريد ومجلس الاحتساب الخ ...

والوزير ، هو رئيس السلطة التنفيذية يقابل رئيس الوزراء ، يساعده نخبة من الكتاب والمحاسبين والقواد ، كصاحب الشرطة وصاحب البريد والمحتسب والكتبة .

وعلى رأس الولاية يقوم اثنان : الأمير والعامل ، ويسمى هذا الأخير (صاحب الخراج) حيث ان واجبه الرئيسي هو حمل الخراج من الولاية الى خزانة الدولة في العاصمة، وكان هو متولي الانفاق على مرافق الولاية العامة مما يتجمع لديه من أموال الضرائب والمصادرات ، لأن خزانة الدولة العامة كانت تتولى نفقات حاضرة الخلافة فقط (١) .

كان الأمير والعامل من الناحية الدبلوماتية على قدم المساواة ، فيخاطب الأمير في المراسلات بما يخاطب العامل ، وترسل منشورات الوزير وتعليماته اليهما في وقت واحد . لكن الأمير كان يمتاز على صاحبه بفضل الصلاة فى الناس وهذا ما يجعله إماماً للمسلمين فى ولايته (٢)، واذا اتفق مزاجا الأمير والعامل استطاعا ان يفعلا ما شاءا دون حسيب او رقيب ، وقد يستقلان بالولاية كما حدث في أحوال كثيرة ، وقد يستظهر أحدهما على الآخر ويتآلفه

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب للبكري ص ١٥١

ليجمع بين الأمارة والاستعمال ، وقد يكتفي الخليفة بتعيين شخص واحد يجمع الصفتين .

ان الأخبار تروي ان خراج ولاية الموصل كان فى أوائل الفتح الاسلامي نزراً تافهاً حتى نهاية القرن الثالث ، حيث أخذ العرب ينزحون اليها جماعات كثاراً ، فقطنوها وأعمروها ، وزرعوا أراضيها الفيضانية التي كانت جرداء لا نبات فيها (١) فكثر خراجها وأصبحت من موارد الخزانة العامة الرئيسية .

لم يكن يعرف فصل السلطة القضائية عن التنفيذية في صدر الاسلام ، فقد كان الوالي والعامل يقومان بالقضاء وفض المنازعات والفصل فى المظالمات وفق السنة . ثم صار الخليفة يعين قاضياً الى جنب كل وال او عامل على الولايات من تلقاء نفسه ، وكان أول من اختط السنة حسب علمنا الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (٢) .

على ان الوالي بقي يتفرد بما يعجز عنه القاضي (٣) كما ان الوالي كان مخيراً بانفاذ الحكم الذي يصدره القاضي او باهماله، فاذا تجاهله انصرف القاضي عن الحكم واعتزل مجلس القضاء (٤) .

ثم ثبتت كلمة القضاء وتحقق انفصاله بعيد المائة الثالثة للهجرة ، وربما جمع الوالي بين القضاء وبين الادارة وقت غياب القاضي .

كان تصنيف الأقاليم (الجغرافية الادارية) كما يلي :

١ـ الأمصار : وهى البلاد التي يحلها السلطان وتجتمع فيها الدواوين وتقلد منها الأعمال وتضاف اليها مدن الاقاليم .

---

(١) المسالك لابن حوقل ص ١٤٣ـ١٤٤

(٢) أنظر تاريخ اليعقوبي .

(٣) الخطط للمقريزي ج ٧ ص ٢٠

(٤) القضاة للكندي ص ٣٢٦

٢ـ القصبات : وهي عواصم الاقاليم ومقامها من الأمصار مقام الحجاب من الملوك .

٣ـ المدن او المدائن : وهي مما يلي القصبة في الاقاليم ومقامها مقام (الجند) وعلامتها وجود المنبر فيها .

٤ـ النواحي : وهى الجهات الاقليمية مثل نهاوند وجزيرة ابن عمر .

٥ـ القرى : وهى الملحقة بالمدن ومقامها مقام الرجالة .

ـ٤ـ

أنواع الامارات

كانت الامارات على الاقاليم تقسم الى ثلاثة أنواع : (١) أمارة الاستكفاء (٢) أمارة الاستيلاء (٣) الامارة الخاصة .

فأمارة الاستكفاء ، هي تلك الامارة التي يفوض الخليفة أميره فيها على القيام بسبع أمور وهي : تدبير الجيوش وتوزيعهم على النواحي وتقرير أرزاقهم والنظر فى أحكام القضاة وتقليد القضاة مناصبهم ، ثم جباية الخراج وقبض الصدقات وتعيين العمال لجبايتها وتوزيعها على مستحقيها ، ثم حماية الدين والذب عن الحريم ، ثم اقامة الحدود فى حق الله وحقوق العباد ، ثم الامامة فى الجمع والجماعات ممن يؤم بها او الاستخلاف عليها من يختاره ، ثم تيسير الحج ومحافظة أرواحهم وتأمين قوافلهم وعودتهم ، وأخيراً جهاد من يليه من الاعداء وقسم غنائمهم فى المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس .

هذه هي أهم واجبات الامير ، وكانت أمارة الموصل في العهد العباسي الاول من هذا النوع .

وأمارة الاستيلاء : فهي ان يستولي أحد الأمراء عنوة واقتداراً على ولاية من الولايات ، فيضطر الخليفة الى إقراره على التفرد بها والتصرف بمقاديرها ، ولقد كثرت هذه الأمارات عندما دب الضعف في الدولة العباسية ، ولم يعد خلفاؤها مرهوبي الجانب ، كما حدث حينما استولى على الموصل بنو حمدان وبنو عقيل ثم الأتابكيون ، وكانت أمارة الموصل من نوع أمارات الاستيلاء اعتباراً من القرن الثالث الهجري .

والأمارة الخاصة : وهى ان تكون الأمارة تحت اشراف الخليفة مباشرة ، لكن يقصر عمل الوالي فيها على تدبير الجيش وسياسة الرعية .

وكانت الدولة العباسية على عهد أبي العباس السفاح تنقسم اداريا الى اثنى عشر ولاية ، والموصل هي الولاية الثامنة (١) في تلك الدولة .

ـ٥ـ

مسالك الموصل الخارجية برياً ونهرياً

كانت الدولة العباسية ترتبط أجزاؤها معاً بطريقين بريين رئيسين ، وأول هذه الطرق محوره الموصل وهو كما جاء في كتاب الخراج لقدامة : من بغداد (يمر ببلد) القريبة من بغداد حتى الموصل ، ويتفرع ثلاثة فروع : واحداً الى ايران ، والآخر الى بوزنطة ، اما الثالث (وهو الطريق الامبراطوري) فيخترق ما بين النهرين الى سنجار و نصيبين ورأس العين والرقة ومنبج وحلب وحماة وحمص وبعلبك ودمشق وطبرية والرملة وغفار والقاهرة والاسكندرية ، ومن ثم الى قيرين (٢) .

(١) تاريخ الاسلام السياسي ج٢ ص٣٠٣ـ٣٠٤ (٢) الخراج لقدامة ص٢٢٧ وما يليها.

أما الطريق النهرية ، فكانت طريقـــاً عظيمة منتظمة تمخر دجلـة الأكلاك والزوارق الكبيرة والحراقات ، وتوصـل السلع والبضائع من أقصى الشمال حتى فم الخليج. وورد في الأخبار(١) انه غرق في عام ٣٤٨هـ-٩٥٩م في دجلة الف نسمة من حجاج الموصل كانوا قادمين للحج في بضعة عشـر زورقاً كباراً .

وثمة جغرافي شهير آخر لم تفته عظمة هذه الطريق النهرية وحركة الملاحة الدائبة فيه فيقول :

« ان البضائع كانت تنحدر من ارمينية الى بغداد مارة بالموصل وهي مدينة معتدلة الجو حسنة الثمار والبقول ، وكان منها ميرة بغداد ومؤونتهم (٢) » .

—٦—

نواحي الموصل القديمة

ناحية نينوى :

كانت هذه الناحية من أهم نواحي الموصل القديمة من حيث السعة وخصوبة التربة وكثافة السكان ووفرة المحصول الزراعي وتربية المواشي ، وكانت تمون الموصل بالغذاء ، وتمتد شمالا الى جبال الشيخان وشرقا حـتى الزاب الأعلى وجنوبا الى ملتقى الزاب الاعلى بنهر دجلة ، وما يزال الموصليون يطلقون عليها اسم « أورطة قول » أي الناحية الوسطى .

تتألف أراضي هذه الناحية من سهول منبسطة ذات تربة خصبة تطرزها بعض الينابيع والجداول الصغيرة ، ومن أهم جداولها نهير الخوصر الذي يروي

(١) مسكويه ج ٦ ص ٢٣٤ (٢) المقدسي ص ١٣٨

بعض الاراضي المحاددة له ، ونهر خرصباد الذي ينبع من عين النوران ، وجدول الفاضلية وينبع من عين تقع في سفح جبل « باعشيقا » المسمى باسمها، هذا الجدول يروي أراضي قرية الفاضلية ، ثم هناك جدول « باحزاني » وينبع ايضاً من عين اخرى تقع في سفح الجبل المذكور آنفاً ويمر بالقرية ويروي أراضيها وبساتينها ، ثم جدول « باعشيقا » وينبع من عين باعشيقا الواقعة في سفح الجبل المذكور وينحـــدر الى قرية باعشيقا نفسها ليروي بساتينها ومزارعها ، ثم جدول كرمليس وينبع من عين تقع في قرية «ترجلة» ينساب الى كرمليس ليروي بساتينها ومزارعها ، ويأتي اخيراً نهر « الخازر » الذي ورد ذكره في معجم البلدان باسم « خازرو » وهو نهر بين اربيل والموصل ثم بين الزاب الاعلى والموصل وعليه كورة يقال لها « نخلا » وأهل « نخلا » يسمون الخازر « بربشوا » مبدأه من قرية يقال لها « اربون » من ناحية « نخلا » ويخرج من بـين جبال « خلبتا » و « العمرانية » وينحدر الى كورة المرج من أعمال قلعـة « شوش » و « العقر » الى ان يصب في دجلة (١) « الصحيح يصب في الزاب الاعلى » .

كانت أراضي ناحية نينوى مزدحمة بالسكان ، وهم خليط من العرب والنساطرة ، وبعد ان اجتاح المغول هذه البلاد ، أبادوا العدد الكبير من السكان الاصليين ووطنوا في محلهم قبائل اخرى من « التركمان والشبك والباجوان » الخ.. من الشعوب والقبائل العجمية .

أطلق العرب على هذه الناحية اسم « نينوى » نسبة الى المدينة الآشورية المشهورة بهذا الاسم .

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٨٨

وقد كتب المؤرخون العرب بعد الاسلام عنها باقتضاب ، فذكر المسعودي مثلا :

« ونينوى فى وقتنا هذا (سنة ٣٣٢هـ ـ ٩٤٣م) مدينة خراب ، فيها قرى ومزارع لأهلها ، والى أهلها أرسل يونس بن متى ، وآثار الصور فيها من الاصنام (يقصد الانصاب والتماثيل) في حجارة مكتوبة على وجوهها ، وفى ظاهر المدينة تل عليه مسجد (جامع النبي يونس) وهناك عين تعرف بعين يونس (عين الدملاماجة) ويأوى الى هذا المسجد النساك والعباد والزهاد (١) » .

وذكر صاحب كتاب البلدان عن نينوى ما قوله :

« وفي الجانب الشرقى منها (أي الموصل) على جبل (تل) بازاء البناء الذى بناه المعتضد بالله مسجد يقال له مسجد التوبة ، يقصد اليه الناس للصلاة فيه والتبرك به كل ليلة (٢) » .

وورد ذكر نينوى فى كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » بصورة مقتضبة عند بحثه عن جامع النبي يونس (٣) .

وكان ابن جبير قد أم الموصل خلال رحلته المعروفة سنة ٥٨٠هـ ـ ١١٨٤م فزار نينوى ووصفها وصفاً دقيقاً حيث قال :

« ومما خص الله هذه البلدة (الموصل) انه في الشرق منها اذا عبرت دجلة على نحو الميل ، تل التوبة ، وهو التل الذى وقف به يونس عليه السلام ودعا ودعوا حتى كشف الله عنهم العذاب ، وبمقربة منه على قدر الميل ايضاً العين

(١) مروج الذهب ج ١ ص ١٣٣ (٢) كتاب البلدان ص ٣
(٣) أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ج ١ ص ١٧٦

المباركة المنسوبة اليه ، ويقال انه أمر قومه بالتطهر فيها واضمار التوبة ، ثم صعدوا على التل داعين ، وفي هذا التل بناء عظيم هو رباط يشتمل على بيوت كثيرة ومقاصر ومطاهر وسقايات يضم الجميع باب واحد ، وفي وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر وينغلق دونه باب كريم مرصع كله ، يقال انه كان الموضع الذى وقف فيه يونس عليه السلام ، ومحراب هذا البيت يقال انه كان بيته الذى كان يتعبد فيه ، ويطوف بهذا البيت شمع كأنه جذوع النخل عظما ، فيخرج الناس الى هذا الرباط كل ليلة جمعة ويتعبدون فيه (١) » .

اما الرحالة ابن بطوطة الذى كان قد أم الموصل والمتوفى سنة ٧٧٧هـ ـ ١٣٧٥م فانه أسهب في الكلام عن قرية نينوى فقد ذكر :

« ... وبمقربة منه (جامع النبي يونس) قرية كبيرة بالقرب منها خرابة (تل قوينجق) يقال انه موضع المدينة المعروفة بنينوى وآثار السور المحيط بها ظاهر للعيان ومواضع الأبواب (أبواب السور) بينة (٢) » .

***

بقيت قرية نينوى عامرة كثيرة السكان حتى بدأت هجمات المغول على الموصل ونواحيها ، فهجرها أهلها شيئاً فشيئاً . وعندما قدم تيمورلنك الى الموصل سنة ٧٩٦هـ ـ ١٣٩٣م اضطر أهلها الى هجرانها تماما وسكن فيها التركمان ، وعلى عهد تيمورلنك جددت عمارة جامع النبي يونس وجعله جامعا تقام فيه صلاة الجمعة والعيدين من قبل (ابراهيم الختني) وزير تيمورلنك ، وان وضعه الحالي هو طبق الأصل كما عمره الوزير المذكور ، يتضح ذلك من الكتابات الموجودة على لوحة مثبتة فى أسفل حائط مدخل المصلى عن

(١) ابن جبير ص ١٩٠ (٢) ابن بطوطة ج ١ ص ١٧٦

يمين الداخل .

اما البناية الحالية فقد عمرت عام ١٢٥٥هـ - ١٨٣٩م ، يتضح ذلك من التاريخ المكتوب على الباب الخارجي للجامع .

وقد أوقف الوزير الختني المشار اليه على هـذا الجامع ، أعشار الحاصلات الزراعية لقرى : نينوى وكوكجلي وقـوجاغ والك وباقوفا والحسنية وبعض الغابات ، بموجب فرمان من تيمورلنك . وعندما استولت الدولة العثمانية على الموصل ، أقر السلطان العثماني هذا الفرمان .

وقد أخذت قرية نينوى فى عهدنا الأخير هذا بالتوسع والعمران ، وفيها الآن مدرسة ابتدائية للبنين ومثلها للبنات بست صفوف كاملة ، وفيها مستوصف ومخفر شرطة وقسم بلدي ، وقد امتد عمرانها الى السهـل الشمالي والشرقي المتصلين مباشرة بالتل ، وعدد سكانها الآن يربو على ٣٠٠٠ نسمة وهم خليط من التركمان والعرب والاكراد يشتغلون فى الزراعة وتربية الماشية والبيـع والشراء .

وتكاد قرية نينوى الآن تختلط ببنايات الموصل ، وكانت قبـل سنوات لا تتجاوز عدد أصابع اليد ، لا تبعد عنها باكثر من ميل واحد . وقـد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (١) .

—٧—

التنقيبات الاثرية فى مدينة نينوى

لا بد من الاشارة ولو باقتضاب الى التنقيبات والحفريات التي قام بها علماء الآثار في هذه المدينة العظيمة الغابرة ذات التاريخ المجيد . كانت العاصمة

الثالثة للامبراطورية الآشورية بعد مدينة آشور « قلعة الشرقاط الحالية » .

وتشير المصادر التاريخية ان أحد ملوك الآشوريين اتخذها عاصمة له من نحو ١٠٨٠ ق. م. فشيد فيها معبداً للالهة عشتار، وضع فيه تمثالا لتلك الالهة وهو بهيئة امرأة عارية .

عظم شأن هذه المدينة على عهد الملك الآشوري المشهـور « سنحاريب » الذي حكم البلاد منذ سنة ٧٠٥-٦٨١ ق. م. فقد وسعها وشيد فيها قصـوراً ومعابد وثكنات وأحاطها بسور وخندق وحصنها بقلاع وزين أبوابها بتماثيل وزخارف وروى حقولها بمياه العيون التي جمعها في قناة واحدة ، تمتد من نهر « الكومل » في قضاء الشيخان ، وغرس حـولها الاشجار والأزهـار وأنشأ بالقرب منها بحيرة أطلق فيها طيوراً وحيوانات مائية ، فاصبحت هذه المدينة أعظم المدن فى زمنها وظلت عاصمة الملوك الآشوريين حتى زوال ملكهم بيـد الكلدانيين والميديين عام ٦١٢ ق. م. ومنذ ذلك التاريخ زال اسم نينوى من عالم الوجود وبقي فى الأسفار والصدور فقط ، وطمرت آثارها الثمينـة تحت التراب عصوراً مديدة .

أخذ علماء الآثار فى القرن التاسع عشر يفدون الى الشرق العربي ويزداد اهتمامهم بالكشف عن أطلال نينوى في العراق على الاخص ، وكانوا يفدون أول الامر من انكلترا وفرنسا. بدأ أول المستكشفين المسيو بوتا سنة ١٨٤٢م تنقيباته في تل قوينجق ونينوى ، ثم شاركه فيها بعد عدة رواد أمثال : يرد ، وهرمز رسام الموصلي ، والسر هنري لايارد ، وكينج ، وغيرهم . وآخر من حفر في التل ، البحاثة المستر تومبسن ، وذلك سنة ١٩٣١م . وكان معظم المنقبين بريطانيين ، وانحصرت أعمالهم بصورة عامة في تل قوينجق عن بقايا

قصر سنحاريب عند النهاية الشمالية من التل ، وقصر آشور بانيبال عند النهاية الجنوبية منه ، وبينها معبـد الاله « نبو » ، ومباني اخرى تعـود لملوك الآشوريين .

اما تل النبي يونس ، فلم يستطع أحد ان يقوم بالحفر فيه لوجـود المسجد الجامع عليه ، ويعرف ان فيه قصر الملك « أسرحدون » ومبـاني أشادها « سنحاريب » نفسه . وأموراً اخرى لو أزيح الستار عنها لكان فيها غنى ، وأي غنى ؟ للمعلومات التاريخية الحاضرة عن تلك الحقبة من الزمن .

ان الحفريات التي قامت بها البعثات الأثرية فى أطلال مدينة نينوى ، أظهرت بكل وضوح خطـط هـذه المدينة العظيمة وأزاحت النقاب عن أسوارها وأبوابها وقصور ملوكها ومعاهدها العلميـة ومعابدها وشوارعها وحدائقها وساحاتها العامة وطرقها . ومن يريد المزيد عن نتائج الحفريات هناك فليراجع « تاريخ الرافدين » تأليف (سيتون لويد) و (مجلة سومر) التي تصدرها مديرية الآثار القديمة فى العراق .

—٨—

أشهر القرى التي كانت تابعة لناحية نينوى

بعد الفتح الاسلامي

تحدثنا المصادر التاريخية ان القرى والقصبات التي كانت من أعمـال نينوى بعد الفتح الاسلامي لهـذه الديار ، انما هي على جانب عظـيم من الانتظام والتنسيق ، تشتمل على أسواق وقيساريات ومعابد وشوارع عريضة ، وفيها مياه نقية وافرة صالحة للشرب ، وكانت تحتوي على بساتين مغروسة بالثمار ،

وكانت فيها صناعات مختلفة كالنسيج البز والأقمشة القطنية والصوفية ، وكانت حافلة بالمتاجر والأسواق ، مما يـدل بان الحركة الاقتصادية لسكان هذه القرى لم تكن قاصرة على الزراعـة وتوابعها ، وعلى تربية الماشية والتعامل بمنتجاتها ، بل كانوا يزاولون الصناعات المتنوعة الرائجة في ذلك الوقت ، وقد نبغ منها علماء ساهموا في بناء الحضارة العربية الاسلامية ، وكان منهم من اشتهر فى الشعر ومنهم من نبه ذكره في الحديث والفقه وسائر العلوم العقلية والنقلية الأخرى .

وسنتكلم في بحثنا هذا عن أهم هذه القرى التى كانت من أعمال ناحيـة نينوى فقط ، كما سنوضح القرى التى احتفظت باسمائها القديمة والقرى التي أصاب أسماءهـا التحريف والتصحيف ، والقرى التي اندثرت وشيد على أنقاضها قرى جديدة سميت باسماء فارسية او تركية او كردية ، وعن أسباب ذلك وأصولها التاريخية .

—٩—

قرية باجباري

تقع في شرقى الموصل على نحو الميل الواحـد ، وهى قرية كبيرة عامرة ، وكان نهر الخوصر في السابق يمر منها ومن تحت قناطرها الباقية لهذه الغاية حتى الآن ، وجامعها مبني على تلك القناطر (١) .

وتعليقاً على ما قاله الحموي عن هذه القرية أقول : ان هذه القرية قـد اندثرت وشيد على أطلالها قرية جديدة تدعى « قرية الجيلة » الحالية الواقعة

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣

على نهير الخوصر . فمن يشاهد هذه القرية الآن يجد أطلال القناطر التي أشار اليها الحموي في بحثه عن قرية باجباري ، باقية الى يومنا هذا .

وقرية الجيلة الآن وفي يومنا هذا ، قرية صغيرة يسكنها عدد قليل من العرب ، ودورها مشيدة بالطين واللبن وأهلوها يشتغلون بالزراعة .

تبعد عن الموصل زهاء ٦ كيلومترات . وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٢) .

—١٠—

قرية بافخاري

تشير المصادر التاريخية ان الخليفة أبا جعفر المنصور العباسي ، كان قد عزل « مالكا بن الهيثم » عن أمارة الموصل سنة ١٤٣هـ ـ ٧٦٠م وولى عليها ابنه « جعفراً » وجعل معه « حربا بن عبد الله » أحد كبار القواد ، لكبح جماح الخوارج الذين كانوا قد عاثوا فى هذه الجهات (أطراف الموصل) ، وأقام « حرب » فى الموصل ، وبنى له قصراً منيفاً باسفلها (جنوبها) عرف باسمه « موقع هذا القصر اليوم عند قرية قنيطرة على ضفة دجلة الغربية » قبالة قرية بافخاري قرية ابن الأثير (١) ذكرها الحموي بقوله « قرية بانخاري من أعمال نينوى فى شرق الموصل (٢) » .

نقول : ان من يقف الآن فى قرية القنيطرة الواقعة على الضفة الغربية من نهر دجلة في جنوب الموصل وينظر الى الأمام ، يرى قرية صغيرة تقع على الضفة الشرقية من دجلة تسمى قرية قصر نخرة او « قزنخرة » يتضح له ان

(١) تاريخ الموصل ج ١ ص ٧٠ — (٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٣

هذه القرية شيدت على أطلال قرية بانخاري التي ذكرها كل من الحموي وابن الأثير ، وقد أصاب اسمها التحريف بعد ان غزا التركمان هذه البلاد . وقد جاء في الكامل ذكر قرية بانخاري في حوادث سنة ١٤٨هـ بقوله : « وفيها خرج بنواحي الموصل حسان بن مجاهد بن يحي بن مالك بن الأجدع الهمداني وكان خروجه بنواحي الموصل بقرية تسمى بانخاري قريبة من الموصل على دجلة (١) » .

تبعد هذه القرية عن الموصل زهاء ١٨ كيلومتراً ، أغلب سكانها الآن من التركمان . وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٣) .

—١١—

قرية السلامية

ورد ذكرها فى ابن خلكان ، وهي بليدة على شط الموصل من الجانب الشرقي أسفل المدينة ، وبينهما (مسافة يوم) فالموصل فى الجانب الغربي، وقد خربت السلامية التي كان الظهير قاضيها وأنشئت بالقرب منها بليدة اخرى وسموها السلامية ايضاً » .

ورد ذكرها فى الكامل بقوله « توفي فى هذه السنة ٣٩٣هـ ـ ١٠٠٢م أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي الشاعر البغدادي (٢) » .

وقال الحموي « السلامية قرية كبيرة بنواحي الموصل على شرقى دجلتها، بينها ثمانية فراسخ للمنحدر الى بغداد، مشرفة على شاطىء دجلة ، وهي من أكبر قرى مدينة الموصل وأحسنها وأنزهها، فيها كروم ونخيل وبساتين ،

(١) الكامل ج ٥ ص ٢٧٦-٢٧٧ — (٢) الكامل ج ٩ ص ٧٥

وفيها عدة حمامات وقيسارية (سوق) لبيع البز وجامع ومنارة . بينها وبين الزاب فرسخان ، وبالقرب منها مدينة يقال لها (آشور) ـ الصحيح كالح ـ خربت وينسب اليها أبو العباس المعروف بضياء الدين شيخ السلامية (١) وقد ظهر من هذه القرية العالم المحدث أبو اسحـق بن نصر بن عسكر السلامي قاضي السلامية حدث واشتغل بالتدريس» . وقد أسهب الحموي فى وصف القرية الأمر الذى إن دل فعلى أهميتها آنذاك .

غزاها التركمان فى القرن التاسع الهجري وأبادوا أهلها العرب وأحلوا محلهم التركمان الذين بقوا سكانها الى يومنا هذا يتكلمون اللغة التركمانية .

وبفضل المساعي والجهود التي يبذلها السيد سالم نامق الآن (وهـو مالك هذه القرية) أخذت الزراعة بها تزدهر وحلت الحاصدات والآلات الحديثة محل المحراث والأدوات القديمة ، وأسست بها مدرسة ابتدائية كاملة للبنين رسمية ، ومستوصف .

تبعد القرية عن الموصل زهاء ٢٠ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٤) .

—١٢—

قرية النمرود

ذكرها الحموي لدى بحثه عن قرية السلامية بقوله « وبالقرب منها مدينة يقال لها : آثور خربت » .

(١) ولد سنة ٥٤٥هـ ـ ١١٥٠م ونشأ بالموصل وتفقه وتوجه الى ديار بكر فصار وزيراً لصاحب آمد قطب الدين سليمان بن قره ارسلان وبنى بآمد مدرسة ووقفها للشوافع ووقف عليها أملاكه هناك .

تعليقاً على ما قاله نفيد : ان هذه المدينة والقرية الـتي قامت فوقها هى (كالح) العاصمة الثانية للامبراطورية الآشورية ، لا مدينة آشور (الشرقاط الحالية) وتقع أطلال كالح شرقى دجلة على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوب شرق الموصل . وقد جرت فيها تنقيبات واسعة منذ نحو قرن من الزمن ، قام بهـا المستر لايارد الانكليزي وهرمز رسام الموصلي وغيرهما من المنقبين البريطانيين . وقد استأنف المعهد البريطاني تنقيباته في أطلال نمرود منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن ، ظهر من هذه التنقيبات ان كالح كانت قريـة صغيرة في بداية الالف الثالث قبل الميلاد وأصبحت عاصمـة للآشوريين في القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد عثر المنقبون على مسلة «آشورناصربال الثاني» فى أطلال كالح وجدت فى قصره وفيها وصف لفتوحه وأعماله العمرانية وقد وضعت فى متحف الموصل حيث فيه الآن .

ومن يريد المزيد من المعلومات ، فليراجع مجلة « سومر » لأن فيها أبحاثاً قيمة عن حفريات نمرود . وقد شيد في العصور المتأخرة قرية على أطلال كالح تسمى النمرود سكنها العرب من الجبور يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٥) .

—١٣—

قرية بلاباذ

يقول الحموي « ان قرية بلاباذ تقع شرقى الموصل ، من أعمال نينـوى ، وبينها وبين الموصل رحلة خفيفة تنزلها القوافل وبها خان للسبيل ، وهي بين الزاب والموصل (١) » .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠

أقول : اتضح لي من تحرياتي الخاصة ، ان موقع القرية الآن هو قرية « بلاوات » الحالية ، وهي لا شك كلمة صحفت من « بلاباذ » ، ومما يؤيد ذلك إن هذه القرية « بلاوات » كانت نزلا للقوافل المسافرة من الموصل الى الزاب قبل فتح طريق « الموصل ـ أسكي كلك ـ اربل » وهي قرية عامرة مزدحمة نوعا ما بالسكان الذين يشتغلون بزراعة الحبوب وتربية الدواجن والأغنام ، وتقع في الجنوب الشرقي من الموصل ، وتبعد عنها زهاء ٣٠ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٦) .

—١٤—

قرية باخديدا

ورد في التواريخ هذا الاسم باعتباره بليدة ، وذكرها الحموي بقوله « انها كالمدينة» وهي من أعمال نينوى شرق الموصل والغالب على أهلها النصرانية (١).

هذه القرية تسمى اليوم « قره‌قوش » وقد علل بعض الكتاب والمؤرخين بان كلمة « قره‌قوش » ترجمة لاسمها القديم السرياني « بيث خديدا » ومعناه « بيت الحدآة » وهو طائر أسود اللون يكثر وجوده في هاتيك النواحي .

وعندما استولى التركمان على هذه البلاد فى أواخر القرن الثامن الهجري ترجموا هذا الاسم الى لغتهم فقالوا « قره ـ قوش » ودرج عليها هذا الاسم.

تقع هذه القرية الكبيرة في الجنوب الشرقى من الموصل ، وتبعد عنها بنحو من خمسة وعشرين كيلومتراً ، وأصبحت منذ عهد الاحتلال البريطانى مركز ناحية باسمها ، ثم استبدل « بناحية الحمدانية » وجعل مقرها برطلة بعد

(١) معجم البلدان ج ٧ ص ٢٤٥ .

الاستقلال ، وبقيت هى قرية تابعة لتلك الناحية ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٧) .

—١٥—

قرية برطلى

تشير المصادر التاريخية الى انها كانت في العصور الماضية أشبه بمدينة من حيث السعة ووفرة السكان والانتاج الزراعي. ومما لا شك فيه ان هذه القرية قديمة العهد يرجع تاريخها الى العهد الآشوري . ذكرها ياقوت بقوله « وبرطلى كثيرة الخيرات والأسواق والبيع والشراء ، ويبلغ دخلها كل سنة عشرين الف دينار ، وأغلب سكانها من النصارى ، وبها جامع للمسلمين ، وأهلها أهل تقوى وعبادة ، ولهم بقول وخس جيد يضرب به المثل ، وشربهم من الآبار (١) » .

نقول : لقد حافظت هذه القرية على اسمها القديم بنصه ، وهي الآن تعد من أهم قرى الموصل ، وجميع سكانها الآن من المسيحيين ، وهي مركز ناحية الحمدانية ، ازدادت أهميتها بعد فتح طريق (الموصل ـ اربل) .

تشكو هذه القرية شح المياه ، وأهلها فى ظمأ متواصل ، والبئر الذى حفرته الحكومة للقرية لم يكن نافوريا ، بل يسحب الماء منه بوساطة مضخة ساحبة، وماؤه شحيح .

تقع هذه القرية شمال شرقى مدينة الموصل ، وتبعد عنها زهاء ٢٣ كيلومتراً وفيها الآن مدرسة أميرية ابتدائية كاملة ، يشتغل سكانها بتربية الأغنام

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٨

والزراعة ، وفيها مستوصف ومخفر شرطـــة ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٨) .

—١٦—

قرية ترجلة

هي من القرى التاريخية القديمة من أعمال نينوى ، حافظت على اسمها الى يومنا هذا ، وقد ذكرها الحموي بقوله « قرية مشهورة بين اربل والموصل ، وبها عين كثيرة الماء ، وهي من أعمال الموصل التابعة لناحية نينوى (١) » .

أقول : ان هذه القرية تقع جنوب شرقي الموصل ، وتبعد عنها بثلاثين كيلومتراً ، فيها نهير يعرف باسم « ماء ترجلة » ينبع من عيني ماء بالقرب من القرية ، يمتزج ماؤهما ليؤلفا الجدول المذكور الذي ينساب الى قرية كرمليس وليس لسكانها الاستفادة من هذا الماء للسقي بل حق الشرب فحسب ، وذلك حسب التعامل القانوني القديم ، وسكان القرية فلاحون ، وتبعد عن الموصل ٣٠ كيلومتراً، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٩) .

—١٧—

قرية كرمليس

من أعرق القرى تاريخاً ، شيدت في القرن الثاني الميلادي ، الامر الذي يدل على انها كانت قرية كبيرة وربما مدينة، ذكرها الحموي بقوله «وكرمليس من أعمال نينوى، وهي شبيهة بالمدينة، في شرق دجلة، كثيرة الغلة والسكان، وبها سوق عامرة وتجارة رابحة (٢) » .

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧٦

(٢) معجم البلدان ج ٧ ص ٢٤٥

أقول : تبعد هذه القرية عن الموصل نحواً من ٣٠ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي ، وتكثر في أراضيها وحواليها الأطلال والخرائب ، وكثيراً ما تعثر سكك الفدان على الدوام بأسس البنـــايات ، الأمر الذي يدل على اتساعها (يبلغ عدد دورها الآن زهاء ٣٥٠ داراً ، أربعة أخماسها مشيد بالكلس والحجر ، والباقي باللبن والطين) وفيها كنيستان قديمتان ، اما نفوسها فتقدر بنحو من الفين وخمسمائة نسمة، جميعهم من الكلدان، يشتغلون بالزراعة وحياكة القطن الأبيض والوبري المسمى (باليوز) .

تعتمد على المزروعات الشتوية والصيفية ، وفيها كروم تنتج أنواع العنب ، وهي مالكة لعين ترجلة ، ولذا لا نرى بأساً من ذكر الرواية الـــتي تتناقلها الصدور عن كيفية وقوع هذا الماء بيد سكان القرية :

قيل ان بقايا من احتل القرية من الأعجام والتركمان ، انتزعوا الماء من أهالي قرية ترجلة وسقوا به أراضي قرية «شاقولي» المتاخمة لكرمليس، ولما تقلص نفوذ الأعجام ، أخذ أهل القرية الأصليون يعودون الى بيوتهم تدريجياً ، وأخذت الاحتكاكات تتوالى بين الفريقين، وقتل كثير من أهالي القرية النصارى ، وكدية للقتلى اضطر الأعجام ان يتنازلوا عن الماء وحق الاسقاء والارواء إلا حق الشرب لا غير .

ولبعض بقايا أرباب الاقطاع أراض ومياه في القريـــة ، لكنهم سائرون الى طريق الانقراض حيث أخذ الفلاحون المتوطنون يحلون محلهم ولن تمر بضع سنوات إلا ويكون هؤلاء سادة أراضيهم .

وتبعد عن الموصل ٢٧ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (١٠) .

—١٨—

ناحية بافكى

ورد ذكر هذه الناحية فى معجم البلدان « بافكي ناحية بالموصل من أراضي نينوى قرب الخازر تشتمل على قرى يجمعها هـذا الاسم ، ومن قراها : تل عيسى وهي قرية كبيرة ، وبيث رثم ، والقادسية ، والزراعة ، والسعدية (١) » .

اتضح لي بعد التعقيب والتنقيب ان هذه الأسماء قد نالها التحريف ما عدا « القادسية » التي حافظت على اسمها الى يومنا هذا ، واما القرى الواقعة على الخازر فهي « قلعة توك ، وحصار ، والبحرة ، وحسن شـامي » وقرى اخرى غيرها كـ « تل اللبن ، وزهرة خاتون » . وهـذه القرى شيدت على أطلال القرى التى نوه بها الحموي عند بحثه ناحية بافكي . وتبعد عن الموصـل ٤٠ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (١١) .

—١٩—

قرية المعروبة

جاء ذكرها فى الكامل بقوله « ... وفى هـذه السنة ٢٩٢هـ ـ ٩٠٤م ولى الخليفة المكتفي أمارة الموصل وأعمالها أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي فسار اليها وقدمها... واتاه الصريخ من نينوى بان الاكـراد الهذبانية بقيادة زعيمهم محمد بن بلال قـد أغاروا على نينوى ، فسار أبو الهيجاء مع جيشه وعبر الجسر (جسر الموصـل) الى الجانب الشرقى يعقب الاكراد فلحقهم (بالمعروبة) على الخازر ، فقاتلوه (٢) » .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٣
(٢) الـكامل ج ٧ ص ٢١٣

أقول : المعروبة التى ذكرها ابن الاثير وعين موقعها ، ليست غـير قرية « المنكوبة » الحالية الواقعة على الضفة الشرقية من نهر الخازر ، وبالقرب منها مخاضة تعبر خلالها القوافل ، ومما لا شـك فيه ان « المنكوبة » اسـم جاء تصحيفاً من الاسم الاصلي « المعروبة » ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (١٢) .

—٢٠—

قرية باعربايا

ذكرها الحموي بقوله « بلدة من أعمـال حلب ، وباعربايا ايضاً من قرى الموصل (١) » وهذا الاسم في رأيي انه قـد صحف الى « باعـذرة » وهي قرية « باعذرة عرب » التي تبعد عن قرية برطلى نحو الساعة ولا تزال باقية الى يومنا هذا .

بينها وبين الموصل مسافة ٤٠ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (١٣) .

—٢١—

قرية باصفرا

جاء ذكر هذه القرية في معجم البلدان بقوله « قرية كبيرة في شرقي الموصل في لحف جبل من أعمال نينوى ، كثيرة البساتين والكروم ، يجنى عنبها في وسط الشتاء (١) » .

أقول : ان الجبل الذى لم يذكره الحموي هو جبل عين الصفراء وان القرية

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠
(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠

التى أطلق عليها اسم « باصفرا » صحف اسمها الآن الى « باصخرا ». ولقد أقفرت الآن كرومها وبساتينها ، يسكنها عدد قليل من الشبك والباجوان ، يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية ، ويظهر ان هذه القرية كانت تستمد مياه السقي من عين الصفراء الموجودة الآن فى الجبل المسمى باسمها ، لذلك سميت قديماً بقرية « باصفرا» وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (١٤) .

—٢٢—

قرية باشمنايا

ورد ذكرها فى معجم البلدان بقوله « باشمنايا من قرى الموصل الواقعة في الجانب الشرقي (١) ».

الظاهر ان هذه القرية هي قرية « باشبيثة » الحالية المعدودة من أهم قرى الشبك ، وان اسمها الحديث مصحف عن القديم . سكانها الشبك من الاعجام نزحوا اليها في القرن الثامن الهجري وأجلوا سكانها العرب الاصليين، وفي هذه القرية نشأ الفقيه المعروف « عثمان بن معلى الباشمنائي » ، يشتغل أهلها بالزراعة وتربية الماشية ، تبعد عن الموصل زهاء ٢٥ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (١٥) .

—٢٣—

قرية باجربوعة

تشير المصادر التاريخية بان « باجربوعة » هى من القرى القديمة في ناحية نينوى، وقد حافظت على اسمها الى يومنا هذا ، وقد احتلها الشبك عندغزوهم

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٩

البلاد ، وبقوا مستوطنين فيها الى يومنا هذا ، وتقع شرقى الموصل وتبعد عنها نحواً من ٢٠ كيلومتراً وتتاخم قرية باعشيقا ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (١٦) .

—٢٤—

قرية باعشيقا

يرجع تاريخها الى عهد الآشوريين ، وذكرها كثير من مؤرخي العرب ، فقال عنها ابن الأثير « فى هذه السنة ٢٧٩هـ - ٨٩٢م خرج حمدون التغلبي على قتال بني شيبان .. وكان بنو شيبان قد نزلوا باعشيقا (١) » .

وكتب عنها وعن خططها ياقوت الحموي مفصلا واليك حديثه « هى من نواحي نينوى فى شرق دجلة ، لها نهر جار يسقي بساتينها وتدار به عدة أرحاء ، وبها دار أمارة ، ويشق النهر في وسط البلد ، والغالب على أشجار بساتينها الزيتون والنخيل والنارنج ، ولها سوق كبيرة ، وفيها حمامات وقيسارية يباع فيها البز ، وبها جامع كبير له منارة ، وبها قبر الشيخ محمد البرذاني الزاهد وبينها وبين الموصل ثلاثة فراسخ ار اربعة (٢) » .

أقول : ان معظم ما أورده الحموي يصدق الآن على القرية الحالية سوى ما حاق بابنيتها من خراب لم يعمر محله وما تخرب ولم يجدد بناؤه . ورغم ذلك فهي من متنزهات الموصل في موسم الربيع ، وماؤها يسقي بساتينها الحافلة بأشجار الزيتون والبصل والقطن . اما أشجار النخيل والنارنج فلم يعد لها أثر ولم يبق من سوقها العامرة غير بضعة دكاكين حقيرة تباع فيها سلع مدنية

(١) الكامل لابن الاثير ج ٧ ص ١٨١ (٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣

وبعض المنتجات المحلية من حاصلات زراعية ومنسوجات تحاك في القرية نفسها. اما صناعة البز فقد اندثرت وحل محلها صناعة الصابون الزيتي .

وقصر الأمارة الذى ذكره الحموي قد تخرب وضاعت معالمه ، ولا شك وانه قد شيد على أرضه « القصر » المعروف الآن بقصر « عبد الله بك آل شريف بك » ، وبالقرب منه المسجد الذى أورد ذكره الحموي لكنه تقلص الآن وأصبح مسجداً صغيراً لا منارة فيه .

اما وسعتها وسكانها فتبلغ ثلاثة آلاف نسمة ولا تتجاوز بيوتها الأربعمائة دار ، هي مزيج من المسلمين والنصارى واليزيدية الذين استوطنوها في القرن الثامن الهجري على ما أرجح ، وهم يقدسون مرقد الشيخ البرذاني ويحجون اليه .

ففى يوم الخميس الثاني من نيسان الرومي ، تجتمع أفراد تلك الطائفة من جميع القرى في باعشيقا ، وفي الليل يقصدون مرقد البرذاني ويقومون بطقوسهم الدينية حتى الصباح ، وعندئذ يباشرون احتفالاتهم بالرقص وشرب الخمر والغناء والضرب على الطبل والسرناي ويسمى هذا اليوم بيوم (الطوافة) وبانتهاء هذه الاحتفالات تغادر وفود اليزيدية القرية .

تبعد عن الموصل زهاء ٢٨ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (١٧) .

—٢٥—

قرية باحزاني

يعود تاريخها الى عهد الآشوريين ايضاً ، وتبعد عن باعشيقا زهاء ميل

واحد الى الشمال . نوه بها الحموي ولكنه لم يذكر اسمها بقوله « والى جنبها (يقصد باعشيقا) قرية اخرى كبيرة ذات أسواق وبساتين متصلة بها (١)».

نقول : ان باحزاني المعروفة اليوم بهذا الاسم ، يروي أراضيها جدول ينبع من عين ماء في لحف الجبل ، وأسواقها مندثرة وفيها حفنة من الدكاكين الحقيرة ، ويعتمد سكانها ما عدا الزراعة وتربية الدواجن، على صناعة الصابون ونسج الخام الوبري الذى يصنع من القطن المعروف محلياً باسم « الباليوز » وأكثرية سكانها اليوم من اليزيدية ، يليهم المسيحيون ، وقلة من المسلمين .

وعدد بيوتها ٣٩٧ بيتاً و نفوسها ٢٦٠٠ نسمة، تبعد عن الموصل ٢٧ كيلومتراً وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (١٨) .

—٢٦—

قرية الفاضلية

يرجع تاريخ هذه القرية الى عصور ما قبل التاريخ ، يؤيد ذلك الأطلال القائمة حول القرية والتنقيبات التي قامت بها البعثة الاميركية القادمة من بنسلفانيا « الجامعة » سنة ١٩٢٩ ، ولقد عثرت على آثار الموقع المسمى « تبة كورة » العائدة الى عصور ما قبل التاريخ .

ذكر العرب القرية باسم « الزراعة او رأس الناعورة »، وفي معجم البلدان ورد فيه ما نصه « قرية الزراعة او رأس الناعورة قصبة كبيرة فيها عين ماء فوارة غزيرة الماء ، وينبت فيها النينوفر (اللينوفر) في شرقي الموصل من أعمال نينوى قرب باعشيقا (٢) » .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٣

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٣٨٢

من هذا التعيين والوصف لا يبقى شك في ان الفاضلية الحالية هي الزراعة او رأس الناعورة الغابرة ، وحسب تعقيباتي اتضح لي ان اسم (الفاضلية) لم يلصق بها إلا بعد ان سكنها الأعجام الباجوان ، وسميت بالفاضليـة نسبة الى المرقد الذى فيها (للامام فاضل) المزعوم انه من آل البيت ، وعلى هذا يكون اسمها الحالي حديثاً .

تقع القرية المذكورة شمال باعشيقا وتبعد عنها زهاء ١٠ كيلومترات ، فيها جدول صغير ينبع من عينها الفوارة الواقعة في لحف الجبـل ، ينحدر فيسقي بساتينها المغروسة بشجر الزيتون ، ومزروعاتها الصيفية كالقطن والبصـل والخضراوات ، وسكانها من الباجوان، وتبعد عن الموصل من الشرق نحو ٢٦ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (١٩) .

— ٢٧ —

قرية خرصباد

هي قرية شيدت حديثاً على أطلال مدينة الملك الآشوري سرجون الثاني (٧٢١–٧٠٥ ق.م) كان قد سماها (دور شروكين) أي (مدينة سرجون) وتقع القرية بالقرب من أحد منابع الخوصر المعروف (بعين النوران) على نحو عشرين كيلومتراً من شمال الموصل ، وفيها بساتين الزيتـون ، وتزرع القطن والسمسم والرز وبعض الخضراوات ، وسكانها من الباجوان .

بقيت أطلال (دور شروكين) مطمورة تحت التراب الى منتصف القرن الماضي حين بدأ المنقبون بالبحث فى أطلالها ، وكان أولهم المسيو (بلاس) الذى أوفدته الحكومة الفرنسية عام ١٨٢٥م ، نقب هذا الرائد ، وجمع منها

ومن أمكنة اخرى غيرها آثاراً قيمة كثيرة أراد ايصالها الى البصرة بالأكلاك للشحن الي اوروبا بالبواخر ، لكن معظم تلك الآثار غرقت للاسف الشديد بالقرب من القرنة فى نقطة مجهولة من شط العرب ، فضاع شيء نفيس من المخطوطات والمنحوتات لا يقدر بثمن .

ثم جاءت بعثة من المعهد الشرقى التابع لجامعة شيكاغو سنة ١٩٢٩ وأخذت تنقب في خرصباد زهاء ثماني سنوات وعثرت على منحوتات كثيرة نقلتها الى امريكا بعدان قاسمها المتحف العراقي بالجانب الأكبر، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٢٠) .

— ٢٨ —

قرية بامردني

ذكرها الحموي بقوله « قرية بناحيـة نينوى من أعمال الموصل بالجـانب الشرقي واليها ينسب أبو يحي بن عبد المجيب البامردني (١) » .

أقول : ان اسم هذه القرية قد صحف الى قرية « الدوبردان » وهى القرية الواقعة فى جبـل مقلوب بالقرب من دير الشيخ متى في ناحيـة الحمدانية .

يسكنها الأكراد الآن ، تبعد عن الموصل زهاء ٣٤ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٢١) .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٨

—٢٩—

قرية الدسكرة

ورد ذكرها في الكامل بقوله « وأمر الخليفة المأمون السيد بن أنس والي الموصل ، يقصد بني شيبان وغيرهم من العرب ، لافسادهم في البلاد ، فسار اليهم وكبسهم بالدسكرة ، فقتلهم ونهب أموالهم (١) » .

وقد مر بنا ان بني شيبان كانوا من الخوارج الذين عاثوا في الأرض الواقعة شرقي دجلة الموصل أثناء كلامنا عن باعشيقا نقلا عن ابن الأثير نفسه .

والظاهر ان هؤلاء نزلوا بالدسكرة التي نسميها الآن بقرية « بزكرة » الواقعة قريباً من نهير الخوصر شمال شرقي الموصل على مبعدة منها بحوالي ١٥ كيلومتراً ، والاسم الحالي جاء مصحفاً من « دسكرة » كما هو واضح وهي قرية صغيرة جداً . وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٢٢) .

—٣٠—

قرية تل اسقف

يرجع تاريخ هذه القرية الى عهد الآشوريين ، وهي من القرى الكبيرة. ذكرها الحموي وغيره بقوله « تل اسقف قرية كبيرة من أعمال الموصل شرقي دجلة (٢) » .

وكلمة « تل اسقف » تحريف لـ « تللسق » او « تلا زقيبا » ومعناه « التل المنتصب (٣) » ، وهي قرية كبيرة عامرة مزدحمة بالسكان المسيحيين

(١) الكامل لابن الاثير ج ٤ ص ١٥٧ (٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠١
(٣) تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٢

تقع شمال شرقي الموصل وتبعد عنها زهاء ٣٣ كيلومتراً ، وليس فيها ماء ولا عين ، لكنها تعتمد على الآبار للشرب . وزراعتها مباخس ، وسكانها فلاحون عموما ، وتمتاز بثمر البطيخ ، وبصنع حبوب للماء جميلة للغاية .

كانت على عهد العثمانيين وفي عهد الاحتلال البريطاني مركز ناحية سميت باسمها ، ثم ألغيت اخيراً وضمت الى ناحية تلكيف ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٢٣) .

—٣١—

قرية باقوفا

من القرى الآشورية القديمة التي بقيت حتى يومنا هذا، جاء ذكرها في تاريخ الآراميين، وتقع في الشمال الشرقي من الموصل وتبعد عنها زهاء ٣٠ كيلومتراً.

وكلمة « باقوفا » تصحيف من لفظتي (بيث قوبي) ومعناه (بيت الأخشاب) فيها تل صغير كان قد وجد فيه أهالي هذه القرية بعض الآثار المخطوطة القديمة، وشوهد فيها أبنية على شكل هياكل، وبقيت هذه القرية أشبه بالمدينة الى عصور متأخرة من المسيح ، ودمرتها غارات التركمان والفرس (١) وسكانها الحاليون نصارى يعيشون على الفلاحة وتفرعاتها ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٢٤) .

—٣٢—

قرية ألقوش

يرجع تاريخها الى عهد الآشوريين ، جاء ذكرها في التوراة ، لأن النبي

(١) تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٢

(ناحوم) عاش فيها ومات ، ولا يزال قبره هناك . وتقع القرية في لحف الجبل المسمى (بيث عذرى) من سلسلة جبال (قردى) على مسافة ٥٠ كيلومتراً شمال شرقى الموصل .

في هذه المدينة (دير ربان هرمز) معلقاً على صدر الوادي، من الجبل في محل شاهق تكتنفه القمم العالية ، وهو موقع أثري عظيم لا مثيل له . سكان القرية من الكلدان والنساطرة ، وهي مركز الناحية المسمى باسمها ، أهلها مزارعون ويشتغلون بتربية الكروم وزراعة البطيخ الموصوف بانه خير ما تنتجه البلاد ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٢٥) .

— ٣٣ —

قرية الجراحية

اشتهرت في التاريخ بقلعتها المعروفة باسم (قلعة الجراحية) جاء ذكرها فى الكامل ما نصه « فى هذه السنة ٤٤٣هـ - ١٠٥١م اجتمعت العرب من أصحاب زعيم الدولة أبو كامل بركة بن المقلد على تأمير علم الدين أبي المعالي قريش وأرسل الى عمه قرواش وهو تحت الاعتقال ، يعلمه بوفاة زعيم الدولة وقيامه بالأمارة وانه يتصرف على اختياره ويقوم بالأمر نيابة عنه ، فلما وصل قريش الى الموصل جرى بينه وبين عمه قرواش منازعة ، ضعف قرواش وقوى ابن أخيه ومالت العرب اليه واستقرت الأمارة له، وعاد عمه الى ما كان عليه من الاعتقال والاقتصار به على عدد قليل من الحاشية والنساء والنفقة ، ثم نقله الى قلعة الجراحية من أعمال الموصل فاعتقل ايضاً (١) » .

(١) الكامل لابن الاثير ج ٩ ص ٢٤١

وذكرها ايضاً بقوله « توفى معتمد الدولة أبو المنيع قرواش بن المقلد العقيلي الذى كان صاحب الموصل ، محبوساً بقلعة الجراحية من أعمال الموصل وحمل ميتاً الى الموصل ودفن بتل توبة من مدينة نينوى شرقي الموصل(١) » .

أقول : ان القرية المعروفة بالجراحية اليوم تقع في قضاء الشيخان ويظهر انها كانت على جانب عظيم من الأهمية حيث كانت قلعتها معتقلا لأمراء بني عقيل الذين حكموا الموصل في القرن الرابع الهجري ، وقد احتفظت هذه القرية باسمها الى يومنا هذا ، لكنها فقدت الشيء الكثير من أهميتها التاريخية، وهى اليوم قرية صغيرة سكانها خليط من التياريين واليزيدية ، يمر بها نهير ينبع من (باعذرا) .

— ٣٤ —

قرية باعذرا

من القرى الكلدانية القديمة ، وكان اسمها القديم (بيث عذرى) الشهيرة فى التاريخ الكلداني ، فصحف هذا الاسم الى (باعذرا) وهى الآن مركز الأمارة اليزيدية ، واليزيديون يطلقون عليها وعلى ما يجاورها من القرى (اسم الشيخان) والامير الأعلى لليزيدية يدعى (مير الشيخان) بحذف الألف من (أمير) ، والنهير الذى يسقيها أخذ اسمه منها ، وجميع سكانها يزيدية .

تبعد عن الموصل زهاء ٥٠ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٢٦) .

(١) الكامل لابن الاثير ج ٩ ص ٢٤٤

-٣٥-

قرية بابنيثا

وهي من القرى القديمة تقع في شمال الموصل على الضفة الشرقية من نهر دجلة ، تبعد عن الموصل ٥١ كيلومتراً . وقد ذكرها ابن الأثير في الكامل بما يأتي « وسار قرواش في الحرم وعبر دجلة بنواحي البلد (أسكي موصل) وجاء سليمان بن نصر الدولة بن مروان وأبو الحسن عيسكا الحميدي (نسبة الى قلعة الحميدية في قضاء عقرة) وغيرهم من الأكراد وساروا الى معلثايا فخربوا المدينة ونهبوها ونزلوا بالمغيثة وجاء أبو كامل فيمن معه من العرب وآل المسيب فنزلوا بمرج بابنيثا وبين الطائفتين نحو فرسخ واقتتلوا يوم السبت (١) » .

أقول : لقد أصاب اسم القرية التصحيف ، فاسمها الآن « بابنيتا » وقد توطن فيها التركمان ، وما زالت باقية الى يومنا هذا ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٢٧) .

-٣٦-

ناحية الزابات

تشير كتب التاريخ الى مجموعة من القرى على « زاب الموصل » الزاب الأعلى باسم « زابات » ، تطرز مجرى النهر من منبعه الى مصبه ، ذكرها ياقوت أثناء ما كان يتتبع الزاب الأعلى بين الموصل وبلاد مشتكهر « جبال حكارى » حتى يلتقي بدجلة عند النمرود (٢) ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٢٨) .

(١) الكامل ج ٩ ص ٢٣٠

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ٣٦٤

-٣٧-

ناحية الفيضة

يحدثنا عنها الحموي بقوله « ناحية في شرقي الموصل من أعمال العقر الحميدي عليها عدة قرى ، وتأوي اليها الوحوش والطيور ، يحصل منها في كل عام ما يزيد على خمسة آلاف دينار من ثمن خشب وقصب ومستغل أراض مزروعات وأرحاء (١) » .

أقول : ربما كانت هذه الناحية ما نسميها الآن بناحية السورجية التابعة لقضاء عقرة ، ومن أهم القرى الموجودة فيها الآن قرى « ديناران ، وهزار جود ، وخميس كوجك ، وجمة » ، وسبب تسميتها الآن بالسورجية ، هو كون أغلب سكانها من عشيرة السورجية الكردية .

-٣٨-

العقر

هي المعروفة الآن بـ « عقرة » مركز القضاء المسمى باسمها . كانت في السابق من أعمال الموصل ، قلعة حصينة في جبال الموصل من جهة الشرق ، عرفت « بعقر الحميدية » وهي أشهر من ان تعرف . خرج منها عدة كتاب وفقهاء مشهورون منهم « محمد بن فضلون بن أبي بكر بن الحسين بن محمد العدوي العقري النحوي واللغوي والفقيه (٢) » . وتبعد عن الموصل ٩٥ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٢٩) .

(١) معجم البلدان ج ٦ ص ٣١٨

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ١٩٥

—٣٩—

قلعة شوش

ذكرها الكامل بقوله « قلعة شوش من أعمال الحميدية وبينها وبين الموصل اثنا عشر فرسخاً وهى على رأس جبل عال (١) » .

وتحدث عنها الحموي فقال « الشوش ، قلعة عظيمة عالية جداً قرب عقر الحميدية من أعمال الموصل ، قيل انها أعلى من العقر (٢) » .

لاتزال أطلال هذه القلعة العظيمة باقية الى يومنا هذا، وبالقرب منها عمرت قرية كبيرة باسم « قرية شوش » اشتهرت باثمارها اليانعة ومياهها العذبة وجودة مناخها . ومن القرى التابعة لشوش قرية شرملة تقع بالقرب من القلعة وتنتج حب الرمان الشوشي (٣) ، ومن قراها ايضاً «العمرانية» وهى متاخمة لقرية شوش ، فيها رستاق وكروم وتقع شرق الموصل (٤) وتبعد عنها ٩٠ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٣٠) .

—٤٠—

بلدة البوازيج

جاء ذكرها فى الكامل بوصفها من ملحقات الموصل المهمة « في شهر شوال سنة ٤٤٥هـ ـ ١٠٥٣م وصل الخبر الى بغداد بان جمعاً من الأكراد وجمعاً من العرب قد أفسدوا فى البلاد (الموصل) وقطعوا الطريق ونهبوا القرى طمعاً فى السلطنة ، فسار اليهم البساسيري جريدة وتبعهم الى

(١) الكامل ج ١٢ ص ١٨٩
(٢) معجم البلدان ج ٥ ص ٣٠٧
(٣) معجم البلدان ج ٥ ص ٢٥٧
(٤) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٧٧

البوازيج ، فاوقع بطوائف كثيرة منهم وقتل فيهم وغنم أموالهم وانهزم بعضهم فعبروا الزاب عند البوازيج ، فلم يدركهم ، وأراد العبور اليهم وهم بالجانب الآخر (على ضفة الزاب الشرقية) وكان الماء زائداً فلم يتمكن من عبوره فنجوا (١) » .

ويتحدث الحموي عن البوازيج بقوله « البوازيج بلد قرب تكريت (على بعد كبير من شمال تكريت) على فم الزاب الأسفل حيث يصب فى دجلة ويسمى هذا الموقع الآن بالخاط ... ويقال لها بوازيج الملك وهي من أعمال الموصل (٢) » .

هذه البلدة اندثرت وأطلالها ظاهرة الى يومنا هذا .

—٤١—

مدينة السن

كانت من أعمال الموصل وهى واقعة قرب مصب الزاب الأسفل بدجلة ، ذكرها ابن الأثير في تاريخه بقوله « عندما حاصر الغز مدينة الموصل انهزمت العرب وأهل البلد وهرب قرواش (العقيلي) في سفينة نزلها من داره وخرج من جميع ماله إلا الشيء اليسير ودخل الغز البلد (الموصل) فنهبوا كثيراً منه ونهبوا ما لقرواش من مال وجوهر وحلي وثياب وأثاث ، ونجا قرواش في السفينة ومعه نفر فوصل السن وأقام بها (٣) » .

ويقول الحموي عن (السن) ما نصه « ويقال سن رما مدينة على دجلة فوق تكريت (أي في شماليها) لها سور وجامع كبير وفي أهلها علماء وفيها

(١) الكامل ج ٩ ص ٢٤٨
(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٧
(٣) » » » ١٦٢

كنائس وبيع للنصارى ... وعند السن مصب الزاب الأسفل (١) » .

لقد اندثرت معالم هذه البلدة وامحت من الوجود وبقيت أطلال منها على الضفة الشرقية من دجلة قرب التقاء الزاب الصغير به .

—٤٢—

مرج الموصل

يشتمل على الأرض المنخفضة الواقعة بين العقر والزيبار ، ويسمى بمرج الموصل ، أو بمرج أبي عبدة عن الجانب الشرقي ، وهو موضع بين الجبال منخفض ، فيه مروج كثيرة وقرى ، وهي ولاية حسنة (٢) .

أقول : يسمى هذا الآن بناحية نهلة التابعة لقضاء عقرة .

—٤٣—

القلعة العمادية

تحدثنا المصادر التاريخية ان العرب كانوا قد استولوا على بلاد داسان وما حولها عام ٢٠هـ ـ ٦٤٠م ، وكان في هذه البلاد قلعة حصينة تعرف بقلعة « أشب » . بقيت بلاد العمادية مرتبطة بالموصل في العهدين الأموي والعباسي حتى ضعف شأن الخلفاء العباسيين وتغلب الأمراء في الولايات ، آضت بلاد العمادية في حالة مضطربة من جراء الثورات الكردية التي كانت تهدف الى الاستقلال والانسلاخ عن الدولة العباسية، حتى جاء الاتابكيون الى أمارة الموصل بعماد الدين زنكي فاستتب الامن في تلك الربوع نوعا ما، حتى اذا غاب عماد الدين عن البلاد الى سوريا انتهز الثائرون الفرصة ، وعندئذ قرر عماد الدين خضد

(١) معجم البلدان ج ٥ ص ١٥٣ـ١٥٤
(٢) معجم البلدان ج ٨ ص ١٦

شوكتهم بعد عودته من سوريا منتصراً ، فسير جيشاً بنفسه وأوقع في القبائل الهرانية والهكارية الكردية وقضى على قوتهم ، ثم أمر بهدم قلعة « أشب » وبناء قلعة جديدة بالقرب منها دعاها باسمه « العمادية » وعاد الى الموصل سنة ٥٣٨هـ ـ ١١٤٣م (١) .

وذكر ابن الاثير ما خلاصته « ان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سار على القلعة على رأس جيش ، فحاصر أولا قلعة (هرور) وافتتحها عنوة ، ثم أوكل (أمين الدين لؤلؤ) بفتح قلعة العمادية فألقى عليها حصاراً شديداً حتى فل من عزم المدافعين الذين سلموها في أول ذي القعدة سنة ٦١٢هـ ـ ١٢١٥م بشرط ضمان سلامة الارواح والاموال والتعويض للسكان عن أراضي اخرى يسكنون فيها بدل العمادية . ولما كان بدر الدين في الموصل يتقبل خضوع وجوه القلعة ، اذ جاء نبأ (بالحمام الزاجل) ان نائبه (أمين الدين لؤلؤ) قد ملك القلعة قهراً وعنوة ، وأسر بني خواجة الدين الذين كانوا قد تغلبوا عليه (٢) » .

ويقول الحموي « وأشب من أجل قلاع الهكارية ببلاد الموصل ، خربها زنكي (عماد الدين) آق سنقر وبنى عوضها العمادية بالقرب منها (٣) » .

والعمادية اليوم بلدة كبيرة ومركز القضاء المسمى باسمها .

(١) تاريخ الموصل ج ١ ص ١٧٠
(٢) الكامل ج ١٢ ص ٢٤٠
(٣) معجم البلدان ج ١ ص ٥٩

نواحي الموصل الغربية

—٤٤—

كورة (ناحية) بلد

هي من أهم نواحي الموصل الغربية ، تقع على ضفة دجلة الى الشمال الغربي، وقاعدة هذه الناحية كانت في السابق ناحية «بلد» المشهورة في التاريخ منذ عهد الآشوريين ، ذكرها ابن الاثير وغيره من مؤرخي العرب ، ووصفها الحموي وصفاً مسهباً بقوله « وبلد، وربما قيل لها بلط.. قال حمزة بلد اسمها بالفارسية شهرآباد (سميت بهذا الاسم عندما استولى عليها الفرس من ضمن ما استولوا عليه من هذه البلاد بعد سقوط الدولة الآشورية) وهي مدينة قديمة على دجلة (١) » .

ثم أتى الى ذكر أبعادها ومسافاتها بين أمهات البلدان ، ثم عدد أسماء فقهاء مشاهير نبغوا فيها مما يزيد على خمسة عشر اسماً .

والحق أنها كانت مدينة العلم في العصور الاسلامية الزاهرة لكثرة ما أنجبت من العلماء والشعراء والفقهاء والادباء والمحدثين . على انها كان لها شأن عظيم ايضاً في عهد الدولة العثمانية ، وقد أطلق عليها العثمانيون اسم « أسكي موصل» أي الموصل القديمة ، ولا تزال تحمل هذا الاسم الى يومنا هذا، وكانت مركز لواء مرتبط بايالات الموصل (٢) حتى قيام التنظيمات الخيرية في عهد السلطان عبد المجيد الثاني والمصلح الكبير مصطفى رشيد باشا الصدر الاعظم .

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٢٦٦ وما بعدها .
(٢) مجموعة منشئات السلاطين تاليف فريدون بك ج ٢ ص ٢٩٨

اما اليوم فبلد قرية حقيرة بكل معنى الكلمة ، يسكنها عدد قليل من عرب الجبور ، وقد حاق الزوال المحزن بمعالمها التاريخية وطمست معاهدها العلمية وساد أهلها الجهل وندر فيهم من يعرف القراءة والكتابة .

تبعد عن الموصل ٥٠ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٣١) .

—٤٥—

كورة البقعاء

ذكرها الحموي بقوله « البقعاء كورة كبيرة في أرض الموصل وهي بين الموصل ونصيبين ، قصبتها (برقعيد) وفيها قرى كثيرة وبناؤها كله قباب (١) » .

يفهم من هذا ان كورة البقعاء هي ما نسميها الآن بارض الشمال أي شمال أرض الجزيرة . والبَقعاء في اللغة هي الارض المبقعة المحتوية على أراض صالحة للزراعة وأراض جرداء حمراء لا اخضرار فيها .

ذكر قصبتها « برقعيد » الكامل بقوله « سار الغز الى البقعاء ونزلوا برقعيد فارسل اليهم قرواش صاحب الموصل من ينظر فيهم ويغير عليهم ، فلما رأوا ذلك تقدموا الى الموصل (٢) » .

ويقول ايضاً في محل آخر « وكان الملك الاشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب قد سار من مدينة حران الى رأس العين نجدة لقطب الدين صاحب سنجار ونصيبين ، وقد اتفق هو ومظفر الدين صاحب اربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر على منع نور الدين من أخذ شيء من بلاده،

(١) الكامل ج ٩ ص ١٦١ (٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥٢

وكلهم خائفون منه ولم يمكنهم الاجتماع وهو فى نصيبين، فلما فارقها نورالدين سار الاشرف مع أعوانه نحو بلدة البقعاء قريباً من (بوشنزى) وسار نور الدين من تل أعفر الى كفر زمار (١) » .

ويقول عنها الحموي « برقعيد بليدة كبيرة من أعمال الموصل من كورة البقعاء ، وبها آبار كثيرة عذبة ، وهى واسعة ، وعليها سور ، ولهـا ثلاثة أبواب : باب بلد ، وباب الجزيرة ، وباب نصيبين . وعلى باب الجزيرة بناء لأيوب بن احمد ، وفيها مائتا حانوت . هكذا كانت حالتها فى قرابة سنة ٣٠٠ للهجرة ، وكانت حينئذ ممراً للقوافل من الموصل الى نصيبين ، فمررنا عليها فوجدناها خرابا صغيرة حقيرة، وأهلها يضرب بهم المثل في اللصوصية ، يقال له لص (برقعيدي) وكانت القوافل اذا نزلت بهم لقيت منهم الأمرين. حدثني بعض مجاوريها من أهل القرى أن قفلا نزل تحت بعض جدرانها احترازاً ، وربط رجل من أهـل القفل حماراً له تحت ذلك الجدار خوفا عليه من السراق وجعل الأمتعة دونه واشتغلوا بالعس والحراسة لما تباعد من الجدار لأنهم أمنوا ذلك الوجه . فصعد البرقعيديون على الجدار وألقوا على الحمار الكلاليب وأنشبوها في برذعته واستاقوه اليهم وذهبوا به ولم يدر به صاحبه الى وقت الرحيل ، فلما كثرت منهم هذه الأفاعيل تجنبتهم القوافل وجعلوا طريقهم على قرية باشزى وانتقلت الأسـواق الى باشزى . وبين برقعيد والموصل أربعة ايام ، وبينها وبين نصيبين عشرة فراسخ ، ومن برقعيد هـذه كان بنوحمدان وسيف الدولة وأهله » .

ونسب اليها قوم من الرواة ذكر منهم صاحب معجم البلدان (٢) ثلاثة .

---

(١) الـكامل ج ١٢ ص ٩٠

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ١٣١–١٣٢

والآن شيد على أطلال برقعيد قرية تعرف باسم « أبو وجنة » تقـدر نفوسها بألف نسمة من عشيرة المعامرة ، وتقع شمال غربي الموصل ، وتبعد عنها بنحو من ٥٠ كيلومتراً .

ومن قرى البقعاء التي ورد ذكرها فى التاريخ قرية « باشزى» وقد مر ذكرها ، وقرية « توماثا » ذكرها الحموي (١) وأرجح انها قرية «حمروك» الحالية حيث ما زال يوجد حولها أثر سور مندرس . ومن قرى البقعاء ايضاً قرية ذكرها الحموي باسم « باجربق (٢) » وأرجح انه قد شيد عليها قرية «جسارى » الحالية ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٣٢) .

—٤٦—

كورة تل أعفر

تحدثنا المصادر التاريخية ان هذه الناحية كانت مزدحمة بالسكان، وكان فيها قرى واسعة أشبه ما تكون بالبليدات ، لا تزال أطلالها باقية الى يومنا هذا ، ومن أهم قصبات هذه الكورة ما يلي :

أ- قرية الدولعية :

ذكرها ابن الاثير فى الكامل ووصفها الحموي بقوله « الدولعيـــة قرية كبيرة بينها وبين الموصل يوم واحد على سير القوافل في طريق نصيبين(٣)». بقيت قرية عامرة مزدحمة بالسكان حتى اجتاح المغول البلاد فخربوها، ولا تزال أطلالها باقية الى يومنا هذا ، وتبعد عن الموصل زهاء ٣٣ كيلومتراً. وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٣٣) .

---

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٣١

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤

(٣) معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٤

ب ـ قرية المحلبية :

من قصبات هذه الناحية ، ذكرها الحموي بقوله « بليدة بين الموصـــل وسنجار ، وسبب تسميتها بالمحلبية انه كان يزرع فيها أشجار (الحب محلب)، وهو من الاشجار العطرية ، يوضع بذره فى العجين قبـل الخبز ، ولا يزال الموصليون يستعملونه (١) » .

وتشير المصادر التاريخية ان الفرس عندما افتتحوها أخرجوا منها سكانهـا العرب ووطنوا بدلهـم التركمان ، وهم الآن سكانها ، وتبعد عن الموصـل ٢٥ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٣٤) .

ج ـ قرية بومارية :

يرجع تاريخها الى عهد الآشوريين، ذكرها ابن الاثير وقال عنها الحموي ما نصه « بومارية بليدة من نواحي الموصل قرب تل أعفر (٢) » .

أقول : حافظت هذه القرية على اسمها القديم ، وهى الآن قرية صغيرة لا يتجاوز عدد دورها المائة ، وهم عرب من عشيرة الجحيش وتركمان، فيها عين ماء تسمى باسمها ، يتحصل منها جدول صغير يستقي مزارعها الصيفية، وهى تبعد عن الموصل زهاء ٥٢ كيلومتراً ، وقد أشرنا على موقعهـا فى الخريطـة تحت رقم (٣٥) .

د ـ قرية تل أعفر :

ومن البلدان المشهورة في تلك النواحي « تل أعفر » ورد ذكـرها في الكامل في مواضيع كثيرة ووصفها الحموي وصفاً دقيقاً قال « تل أعفر ، ويقال تل يعفر ، وقيل انما أصـله التل الاعفر للونه فغـير بكثرة الاستعمال

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٥ (٢) معجم البلدان ج ٨ ص ٣٩٦

طلب الخفة ، وهو اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل ، وفى وسط واد فيه نهر جاري ، وهي على جبل (تل) منفرد ، حصينة محكمة، وفي مائهـــا عذوبة (الصحيح ان ماءها مج لا عذوبة فيه) ، وبها نخيل كثير يجلب رطبه الى الموصل (١) » .

وجاء ذكرها في فوات الوفيات (٢) « والظاهر ان سكانها كانوا عرباً حتى هجوم التركمان في القـــرن الثامن الهجري حيث توطنوا فيها وفى الأراضي المجاورة لها (٣).» .

أخذت القصبة بالتوسع وأصبحت الآن شبه بلدة ، وتبعد عن الموصل ٦٩ كيلومتراً ، وهى مركز قضاء ، وبها ثلاث نواح : ناحية زمار ، وتل أعفر ، والعياضية « نسبة الى عياض بن غنم فاتح هذه الديار » وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٣٥) .

هـ ـ قرية زمار :

ومن القرى المشهورة في هذه الكورة قرية « كفر زمار » ورد ذكـرها في الكامل بقوله « وسار نور الدين الأتابكي صاحب الموصل من تل أعفر الى كفر زمار » .

وجاء فى كتاب الروضتين خبر نزول صلاح الدين الأيوبي بها بعـد ان عاد يائساً من حصاره الموصل (٤) .

(١) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٢ (٢) فوات الوفيات ج ٢ ص ٣٧٧

(٣) توطن التركمان فى المنطقة الضيقة التي تفصل المنطقتين الكردية والعربيـة وتبدأ حدودها من تل أعفر الى القرى الواقعـة في جنوب غربي الموصـل وتمر باربل والتون كوبري وكركوك وداقوقا وطوزخورماتو وكفري وخانقين وتنتهي بمندلي .

(٤) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٦٤

وهي الآن قرية صغيرة تبعد عن الموصل زهاء ٨٨ كيلومتراً ، ومركزاً للناحية المسماة باسمها ، وقد أشرنا على موقعها فى الخريطة تحت رقم (٣٦) .

—٤٧—

كورة حديثة الموصل

تشير المصادر التاريخية ، ان الناحية يرجع تاريخها الى عهد الآشوريين وانها كانت مدينة كبيرة ، ويقول عنها الحموي « بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقى قرب الزاب الأعلى ، وفى بعض الآثار ان حديثة الموصل أحدثها مروان بن محمد الأموي . وقال حمزة بن الحميد : (الحديثة تعريب نوكرد) كانت مدينة قديمة ، فخربت وبقي أثر لها ، فاعادها مروان بن محمد بن مروان الى العمارة وسأل عن اسمها ، فاخبر بمعناه ، فقال سموها الحديثة (١) » . وأطلالها باقية الى يومنا هذا قرب قرية كشاف الواقعة على نهر الزاب الذى كان الحموي قد نوه بها (٢) .

أقول : ان الموقع الذى شيدت فوقه القرية ، كان عليه فى الماضي قصبة كبيرة جعلت مركز لواء تابع لايالة الموصل على العهد العثماني ، والآن يسكنها العرب ، وبالقرب منها قرية « كشاف كرد » يسكنها الأكراد ، وقد أشرنا على موقعها في الخريطة تحت رقم (٣٩) .

قرية جهينة

وصفها الحموي بقوله « وجهينة قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة ، وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل ، وعندها مرج يقال له (مرج جهينة) نبغ منها أبو عبد الله الحسين بن نصر الكعبي المعروف بتاج الاسلام .

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٢٠٧ . (٢) معجم البلدان ج ٧ ص ٢٥٣

الخاتمة

غارة التتر على الموصل وخمول ذكرها

يبدأ خمول ذكر الموصل وتدهورها منذ ان هبت عاصفة التتر الهوجاء مكتسحة أمامها مدنية الشرق ، مقوضة أركانها ، طامسة معالمها . ولم يكن ما أصاب الموصل بأقل مما أصاب بغداد او حلب او دمشق .

يبدأ ظهور أمة التتر او المغول بقيام جنكيزخان الذى تم له تشكيل جيش قوي مدرب ظهر به على مسرح التاريخ ، يقود أمته فاتحاً ، غازيا ، مخربا كل شيء يعترض طريقه . ولقد تم له بسرعة مدهشة تكوين امبراطورية مغولية كبرى تضم ايران وما بين النهرين وآسيا الصغرى (١) وبحر الخزر ، ثم بلاد الروس ، ثم شرقا حتى أقاصي الصين ، وجنوبا بلاد الهند .

وبعد موت جنكيزخان قسمت مملكته بين أولاده ، ومنهم « تولي خان » الذى جعل خراسان وما يؤمل أخذه من نواحي دياربكر والعراقين ، فوسع ملكه .

وبعد موته خلفه ابنه وحفيد جنكيزخان ما أطلقت عليه المصادر الصينية والمغولية والعربية اسم « هولاكو خان » فسار هذا بجيوشه الجرارة الى بغداد واستولى عليها فى منتصف محرم سنة ٦٥٦ ، وجرى عليها ما جرى على

(١) تاريخ الحضارة الاسلامية تاليف ف. بارتولد وترجمة حمزة طاهر ص ٩٣

غيرها من المدن التي وقعت تحت رحمته ، فقتل أغلب سكانها ونهب دورها
وشرد الأحياء (١) .

وكان موقع الموصل ومدينته آنذاك بيد ملكها الرحيم الطيب « بدر الدين
لؤلؤ » آخر ملوك الأتابكيين . فلما علم ما أصاب أخت الموصل من دمار
وويل ، وأيقن ان لا قبل له بدفع هذه البلوى ، أخذ بسياسة المرونة وأخذ
يمشي على سياسة التقرب من الغزاة التتر وخطب ودهم وعرض الطاعة لملكهم
هولاكو ، وأرسل ابنه « الصالح » نيابة عنه الى ملك التتر ، متنازلا عن
استقلاله وقابلا الرضوخ الى حكم الأجنبي في سبيل الابقاء على الأرواح
وصيانة الممتلكات .

مات بدر الدين لؤلؤ وهو ناعم البال مستريح الضمير لما فعله ، ولم يعلم ان
الموصل سيحل فيها الدمار على يد أحد أبنائها .

روى المؤرخون ان بدر الدين عندما توفي ، تولى الملك الصالح ابنه مدينة
الموصل ، وابنه الآخر علاء الدين مدينة سنجار ، وابنه اسحق الجاهد الجزيرة
وأيدهم هولاكو مظهراً لهم الرعاية والمودة ، وبعد مدة من الزمن التجأ علاء
الدين صاحب سنجار الى الملك « الظاهر بيبرس (٢) » في القطر المصري ،
فعينه نائباً له في حلب . وكتب علاء الدين الى أخيه الملك الصالح يصف له
شوكة الملك الظاهر ويحرضه على الاتحاد معه لطرد المغول من البلاد .

وصل هذا الكتاب الى الملك الصالح ، فقرأه ووضعه تحت طراحته ، ونام
عنه ونسيه تماما ، فسطى عليه شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي وفر به هاربا
واتصل بالتتر وسلم الكتاب الى هولاكو الذى استبد به الغضب على أولاد بدر

(١) تاريخ الامم الاسلامية للخضري ج ٢ ص ٦٥٨   (٢) شاكر ج ١ ص ٨٧

الدين ، وأمر ، فزحفت جيوشه على الموصل بقيادة الأمير « سمدغو » وقام
على حصار الموصل مدة من الزمن وهو عاجز عنها ، ودافع الموصليون عن
مدينتهم دفاعا ضاريا مجيداً ، على الرغم من قلة الأرزاق والأعتدة والرجال .
وهكذا أبدى سمدغو بالأخير عجزه التام عن فتح الموصل عنـوة ، فراح
يفاوض الملك الصالح على التسليم والامان لارواح السكان وصيانة الممتلكات ،
ولم يكن الملك الصالح مخيراً بذلك ، فقد كادت أرزاقه تنفد ، وتمسك بالوعد ،
ففتح أبواب مدينته لسمدغو وخرج لاستقباله ، وما كان من الامير المذكور
إلا ان غدر به وبوزرائه ورجال دولته ، فأمر بالقبض عليه ، وأباح القائد
المدينة ، فانتشر فيها التتر يعملون سيوفهم في رقاب الاهالي ثمانية ايام ، قتلوا
خلالها من الخلق ما لا يعلم عددهم إلا الله وحده(١) وألقوا الكتب في دجلة
على نحو ما فعلوا في بغداد (٢) ، ثم ان الامير سمدغو كافأ الخائن شمس الدين
الباعشيقي على خيانته ، فولاه الموصل ، ثم رحل عن المدينة مستاقاً معه ملكها
الصالح حيث أوصله الى هولاكو الذى أودعه داره حتى قتل صبراً ، ولم يمهل
الباعشيقي ليهنأ بثمن الخيانة ، فما ان غادره جيش التتر حتى أدار ضده المدعو
« الزكي الاربلي » ثورة موصلية شعواء بعد ان أزاح الستار عن خيانته ،
فهوجم في قصره وأوثق وأشبع ضربا ثم قتل شر قتلة .

ومن ذلك الحين انطفأت شعلة الموصل او كادت ، وكان يلمح بين الفينة
والفينة بريق خلب ضئيل يكاد ينطفيء ، فأكثر ولاتها القساة السلابون
النهب والظلم ، واحتكروا الأقوات وارتفعت الأسعار ومسها الجوع ، فسقطت
من ذروة عزها الأتابكي الى حضيض الفقر الأدبي المدقع ، وأغلقت معاهدها

(١) أبو الفرج ص ٩٥   (٢) منهل الاولياء

الهامة العلمية ، واستمر احتلال التتر لها نصف قرن ، حيث جاءت الدولة « القانية » وطردت منها الحاكم التتري سنة ٦٩٤ وعرف حكمها بحكم الدولة « الجلائرية » وهم من المغول ايضاً ، وظلت حتى القرن العاشر الهجري مسرحا للغزاة والفاتحين العتاة ، ما تكاد تتخلص من واحد حتى تنكب بآخر ، وآخر ، وآخر (١) .

وكان مسك الختام شر المستعمرين ، وأطولهم عمراً ، وهو القائد العثماني الذى جاء على أعقاب الطاغية تيمورلنك سنة ٩٤١هـ على عهد السلطان سليمان القانوني الذى فتح بلاد العراق وطرد منها النفوذ الفارسي، وعين سليمان باشا المجري أول وال على العراق وجعل مقره بغداد ، وهو أول من ضبط هذه الأراضي من الأعجام (٢) .

(١) بعد ان أعمل فيها تيمورلنك نهباً وقتلا غادرها ، وفي سنة ٨٠٨هـ استولت على الموصل قبيلة (قرهقوينلي التركمانية) وبقيت تحكمها حتى سنة ٨٧٣هـ وبعد ذلك التاريخ احتلتها قبيلة (آق قوينلي) وهي من التركمان ايضا وظلت فيها حتى سنة ٩٤١هـ .

(٢) منهل الاولياء .

الملاحق

نثبت فيما يلي أقوالا وانطباعات أوردها السياح والرواد الفرنجة عن الموصل حين دخولهم اليها ومكوثهم فيها ، اقتصرنا على الأحاديث التي لم تترجم ولم يقف عليها القاريء العربي في مضانها .

الملحق الاول

الموصل في رحلات ماركوبولو (١)

في بلاد الموصل، وسكانها المختلفين، عن الشعب المسمى الكرد،
وعن تجارة المدينة

... الموصل بلدة عظيمة يسكنها أناس متعددو الجنسيات ، ففئة منهم تدين بالديانة الاسلامية ويسمون بالعرب ، اما الآخرون فيدينون بالنصرانية، لكن ليس حسب الطقس الكنائسي « يقصد الطقس الكاثوليكي الروماني » فقد أقاموا على المذهبين النسطوري واليعقوبي « والارمني » وعندهم بطريرك يسمونه جاكوليت (٢) « يقصد جاثاليق » وهو الذى يرسم رؤساء الاساقفة والاساقفة والكهنة ، ويرسلهم الى سائر أطراف الهند ، وبوداس(٣) « بغداد » وكاثاي (٤) « الصين » كما يفعل بابا روما في البلاد اللاتينية تماماً .

(١) هذا الرحالة أشهر من ان يعرف ورحلته كانت حوالي سنة ١٢٧٢م

(٢) Jacolit

(٣) Baudas

(٤) Cathay

ان كل تلكم الثياب والاقمشة الذهبية والحريرية التي نسميها «موسلين» انما هي من مصنوعات الموصل ، وكل التجـار الكبار الذين يطلق عليهم اسـم موسوليني « يقصد موصليين » ممن يتجرون بالعطور والتوابل بمقادير هائلة من بلاد الى اخرى ، هم من تلك الناحية .

وفي الاقسام الجبلية من هذا الصقع، يوجد شعب يسمى « الكـرد » فئة منهم يدينون بالديانة المسيحية ، وفئـة اخرى تدين بالاسلام ، وكلهـم أناس برابرة ، غير متحضرين ، صناعتهم نهب التجار .

وفي ضواحي هـــذا الصقع قصبات تسمى موس « يقصـد موش (١) » وماردين ، حيث يزرع القطن ويصدر بكميات وافرة ، وحيث يصنع منـه قماش يسمى بقاسيني (٢) « ربما يقصـد بقج : ج بقجة » وغير ذلك من الاقمشة : وكل هؤلاء السكان صناع وتجار يخضعون لملك التتر .

ثم ينتقل ماركوبولو الى الفصل السادس للكلام عن بغداد .

(١) Maredin , Mus

(٢) Boccasini

الملحق الثاني

الموصل في كتاب : « رحلات في بلاد ما بين النهرين »

للرحالة الانـكليزي
ج. س. بوكنكهام ج ٢
طبع لندن ١٨٢٧

Travels in Mesopotamia
J. S. Buchingham Vol II
Printed in London 1827

٥ تموز سنة ١٨٢٧

... كاد الصباح ان ينبلج حين وصلنا أبواب الموصل ، وقد أدهشني كبر حجمها وسعتها ، لكن ما دخلتها حتى صدمت لعـدم عثوري على ما يسترعي الاهتمام ويستلفت النظر فيها .

عند دخولنا المدينة وجدناها في حالة عمرانية يرثى لها ، تكل عن الوصف، بالأخص اذا ما قيست باتساعها ، كانت أعظم مدينة متأخرة وقعت عليها عيني في الشرق باسره !

توجهت مع جماعتي الى دار أكبر تاجر نصراني في البلد ، كنت قد حملت له رسالة من مطران السريان في ماردين ، فاستقبلني الرجل بحفاوة وإكرام زائدين وأعد لي غرفة نلت فيها بعض راحة ، حتى أعد لي طعـــام الفطور فتناولته، واقتادني أحد خدمه الى الحمام، وبعد استحمامي وجدت في انتظاري خدم « الباشا » الذى كان قد لحق لديه العلم بوصـولي أنا الرحالة الانكليزي الى مدينته .

سرنا في الشوارع مسافة غير طويلة حتى وصلنا قصر الباشا فدخلت عليه ، فوجدته شابا رزيناً جميل الوجه لا يزيد سنه على الثلاثين ، يتحلى بالعقـــود والأساور ، مكسواً باللبـاس التركى الفاخر ، جالساً على كرسي في جانب من

الصالون محاطاً بما يقارب الخمسين شركسياً ببزهم الجميلة الرائعة وأجسامهم القوية واقفين بكل سكون واحترام منتظرين أوامر سيدهم .

كان هذا السلطان (١) الجميل يدعى « حامداً (٢) » وهو من سلالة تركية انحصرت بها باشوية الموصل مدة قرون عديدة. كان (حامد) معروفا باخلاقه القوية وحسن ادارته ومحبته للرعية ! (كذا) ..

دار بنا الحديث الطويل عن الأحوال والأمور في البلدان الأوروبية وعن مشاهداتي فى بلدان الشرق ، ثم استأذنت بعدها للانصراف فأذن لي بعدان أحاطني برعايته ووعدني بمساعدته .

٦ تموز سنة ١٨٢٧ (فى وصف الموصل)

فى الصباح الباكر حضر خدم الباشا مع جياد، امتطيناها وسرنا فى شوارع المدينة محاطين باحترام المارة تطوقنا أنظارهم من كل جانب . وتقع مدينة الموصل في الجهة الغربية من نهر دجلة ، وتحيط بها من جهات عديدة لمسافة أميال سهول منخفضة . والمرء عند دخوله المدينة من الجانب الشمالي الغربي، يرى آثار قد درست لخندق كان يحيط بالمدينة فى وقت من الأوقات وكذلك لم يبق إلا آثار معدومة من ذلك السياج المحيط بالمدينة .

اما منظر المدينة العام ، فكان يدل على تأخر البلد الذى لم يكن فيه ما

(١) كل وال او أمير ، اعتاد الرحالون ان يطلقوا عليه « السلطان » .

(٢) هو الوالي عبد الرحمن باشا الجليلي ابن محمود باشا ، حصلت على عهده ثورة داخلية قام بها أهالي الموصل عليه ، أدت الى مقتله ومقتل أخيه الكتخداء محمد بك . ومن شاء الاستزادة فليراجع كتابنا « المماليك في العراق » ولا ندري من أين أتى صاحب الرحلة (بالوالي حامد) ونرجح انه تصحيف كثيراً ما وقع فيه الاجانب .

(المؤلف)

يسترعي الانتباه . فالشوارع ضيقة متعرجة غير مبلطة كثيرة المنعطفات ، والبيوت منشأة من أحجار صغيرة غير منحوتة ، وكانت الأبواب هى المنفذ الوحيد على الشارع ، اذ ان النوافذ كانت تطل على صحن الدار من الداخل فقط وليس ثمة نافذة على الجدران الخارجية .

اما الأسواق ، فمع طابعها المتأخر وقذارتها الشديدة (١) ، فانها تحتوي على جميع المطالب وضروريات الحياة التي كانت تجلب من بلاد كردستان .

واذا سرت في الشوارع رأيتها ملأى بالمقاهي ، وكانت على العموم كبيرة حتى ان بعضها كان يمتد على طول الشارع لمسافة مائة يارد ، وقد صفت التخوت على الجنبين .

وكان عدد الحمامات كثيرة ، ما يقارب الثلاثين ، إلا ان مقارنتها مع حمامات القاهرة والشام وحلب لا سبيل اليها ، فهي متأخرة حقيرة جداً .

واذا أحصينا عدد الجوامع وجدنا ان منها ما يقارب الخمسين، عشرون كبيرة ، لكل منها منارة مبنية بالطابوق المحلى بالنقوش العربية الجميلة ، اما الثلاثون الباقية فصغيرة غير مهمة . وكان ثمة جامع كبير واسع جميل ، إلا انه متهدم الآن ، امتدت منه الى ارتفاع شاهق منارة عظيمة بناها « نور الدين » سلطان الشام ، وبالقرب منه يقع جامع صغير آخر مبني بالطابوق على شكل هرم مثمن يقال انه أقدم من الجامع النوري (٢) .

وفي المدينة منائر اخرى مبنية بالطابوق ومدهونة بالزيت الأخضر على أشكال بديعة مزركشة بالوان اخرى .

(١) ما أشبه الليلة بالبارحة، ان الحديث يبدو وكانه قيل امس، فمازالت الموصل مشهورة بقذارة شوارعها حتى ايامنا هذه .

(٢) هو مرقد علي الاصغر الواقع في محلة جامع الكبير.

وكان عدد الكنائس المسيحية يقارب الاربع عشرة ، خمسة منها للكلدان ، واربعة للنساطرة ، وثلاثة للسريان ، وواحدة لليعاقبة ، وواحـدة للرومان الكاثوليك .

كانت مدينة الموصل مأهولة بالنساطرة الذين يدعون انهم مسيحيون، لكنهم في الحقيقة أحط وأشرخلق الله ، لا عمل لهم إلا السلب والنهب .

يزعم سكان المدينة ان الموصل مأهولة بما يبلغ عدده مائة الف نسمة، لكني أقدرها بما لا يزيد على نصف هذا العدد ، أكثريتهم الساحقة من المسلمين بنسب متساوية من العرب والكرد والاتراك ، اما اليهود فكان منهم مايقارب ثلاثمائة أسرة، وكان عدد الكلدان من المسيحيين يبلغ الف أسرة، والسريان خمسمائة ، واليعاقبة ثلاثمائة .

ان حكومة الموصل هى فى يد باشا او وال ، يعينه سلطان الآستانة ، وهو مستقل استقلالا تاماً عن ولاة حلب وأورفة وبغداد ، وكان سلطان الموصل المدعو « حامداً » حازما فى ادارته محبوبا من الاهالي .

وكانت قوة الجند التي وجدت لمحافظة المدينة لا تزيد عن الف رجل مسلح، فى الغالب تجد نصفهم تقريباً في سراي الباشا المحتـوي على المحاكم والدوائر الرسمية .

كانت تجارة الموصل فى وقت ما مهمة واسعة، لكنها تقلصت الآن الى درجة عظيمة ، ولا يزال بعض التجار يقومون برحلات تجارية بين الموصل وحلب يتبادلون فيها السلع الكردستانية والهندية التي تصلهم من البصرة ، ببضـائع اوروبية يجدونها في أسواق حلب .

والصناعة الوحيدة الحية الآن في الموصـل هي النسيـج : والنسيج القطني

على الأخص الذى يصبغ بلون أزرق وتستعمله الطبقة الفقيرة (١) .

ومن قسمات وجوه الأهالي يستطيع المرء ان يجزم انهم قوم عاشوا معا زمناً طويـــلا واختلطت دماؤهم اختلاطاً شديداً . ان شكل الوجه أكثر استدارة من وجـــه العربي او التركي ، وشعرهم على العموم أسود ، وعيونهم صغيرة حادة نفاذة ، اما الملامح فشبيهة بملامح أهل اسبانيا الجنـوبية ، ويلبس الأولاد الصغار أقراطاً ذهبية في آذانهم ، بينما تضع الفتيات قلائد على شكل الأزرار (٢) في وسطهـا حجر كريم يحطن بها أعناقهن ، ويلبس الرجال ملابس الأتراك المعتادة ، إلا انهم يضعون على رؤوسهم الطرابيش كأهالي سوريا ، وتلبس النسوة الازار الاسود المعروف في مصر وسوريا المصنوع من شعر الخيل (٣) وتحمل جميع الطبقات منهن المراوح المربعة الشكل المستعملة عند أهالي البحر الاحمر . اما الطبقة الغنية فتستعمل المراوح المثلثة الشكل المصنوعة من الريشة والمرصعـــة بمرآة في وسط أحد طرفيها مدلاة بشريط معلق في الذراع .

وقد أصاب هذه المدينة أذى عندما دخل التتر بغداد بقيادة جنكيزخان سنة ٦٥٤هـ – ١٢٥٦م ، ذهب ضحيته ما بين سبعة آلاف وثمانية آلاف نسمة من أهاليها ، وأصبح مجرى دجلة مكدراً بلون أحمر من كثرة الدماء السائلة. كادت المدينة تدمر مرة اخرى عندما غزاها تيمورلنك سنة ٧٩٦هـ والعجيب

(١) ما زال اللباس الازرق المصبوغ بالنيل لبس الطبقة الفقيرة والفلاحين لحد الان لانه يمتاز بقوته وتحمله القذارة .

(٢) ما زال تستعمله طبقة الفقراء بمثابة حلي ويسمى بالدارج (المليغ) ويصنع من الذهب .

(٣) تسمى (الجيلية) وبها تستر النسوة الموصليات وجوههن وقد اختفت الان .

أنها بقيت رغم ذلك محافظة على أهميتها السالفة .

مر الرحالة الشهير ماركوبولو بهـا وذكر أنها كانت فى زمانه مشهـورة بمنتوجاتها الحريرية المذهبـة ، ويذكر فى تلك الفترة ان الجبال المحيطة بها كانت مأهولة بأناس يسمون « الكرد » كان بعضهم من النساطرة وبعضهم من اليعاقبة والبعض من المسلمين . ومن مذكرات هـذا الرحالة العظيم علمنا ان المدينة كانت تنتج المنسوجات القطنية المسـماة « موسوليني » كناية عن الموصل .

والعربية التي يتكلم بها أهالي الموصل ، تختلف كلياً عن العربية فى القاهرة وحلب ، فهي خليط من الكلمات التركية والفارسية والهندية .

والموصل بلا جدال محل أثري نادر ، كانت فى زمن خلا بلدة عظيمـة ويقال انها التي خلفت « نينوى » .

يقول الرحالة « بنجامان » الذى قام برحلات عديدة الى الشـرق في سنة ١١٧٣م ، انه مر فى هذه المدينة في طريقه الى الهند وسماهـا « موتصل » ويقول أنها كانت تبعد مسافة يومين عن مدينة « الجزيرة » .

كان في الموصل في ذلك الوقت ٧٠٠٠ يهودي يحكمهم رئيسان أحدهم يدعى « زاجي » وهو أمير من سلالة داود ملك اسرائيل ، والآخر « يوسف » المنجم من سلالة دانيال النـبي ، وكان مستشاراً للمـلك الذى كان يدعى « زين الدين » وهو شقيق « نور الدين » ملك الشام .

كانت الموصل فى ذلك الوقت ، تحكم بلاد فارس ، وهي حصينة منيعـة الى درجة استطاعت ان تدفع عنها حصار صلاح الدين الشهير سنـة ٥٨٧هـ وكان هذا الغازي نفسه أحد سكان جبال كردستان المجاورة ، وكان أخاً لزعيم

كردي شهير باسم « أسد الدين ، او أسد الجبل » هجر وطنه لقتله رجلا من أسرة كبيرة كان قد أهان امرأة لا نصير لها .

آخر ملاحظاتي حول الموصل من الوجهة التاريخية أنها سنة ١٧٤٣م قاومت هجوما عنيفاً دام اربعين يوما قام به عليها القاهر الفارسي الشهير « نادرشاه » الذى اضطر الى هدم الاسوار والاستحكامات التي عملها للعـودة الى ايران لاخماد ثورة داخلية فيها ، ومنذ تلك الفترة لم تشهد الموصل حادثاً عظيما ، إلا انها مع ذلك كانت تسير القهقرى فى طريقها الى الانحلال والانحطاط .

(تم الكتاب)

فهرس الاعلام للرجال

مصادر الكتاب

١ـ الكامل لابن الأثير

٢ـ ابن جبير

٣ـ معجم البلدان

٤ـ مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي

٥ـ ابن بطوطة

٦ـ الموصل في القرن الثامن عشر

٧ـ ابن خلكان

٨ـ ضحى الاسلام الجزء الثاني

٩ـ ابن حوقل

١٠ـ تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان

١١ـ ثلاث مسرحيات عربية ترجمة محمد تقي الهلالي

١٢ـ فوات الوفيات

١٣ـ دائرة المعارف للبستاني الجزء الخامس

١٤ـ العراق في القرن السابع عشر

١٥ـ المقدسي الجزء الأول

١٦ـ تاريخ الخضري

١٧ـ تاريخ عمومى لأحمد رفيق الجزء الخامس

١٨ـ كتاب البلدان لمحمد بن محمد بن محمود السمرقندي مخطوط

١٩ـ تاريخ الطبري الجزء الرابع

٢٠ـ تراث الاسلام تعريب الأستاذ جرجيس فتح الله المحامي

٢١ـ تاريخ الاسلام السياسي والديني الجزء الثاني

٢٢ـ مروج الذهب الجزء الأول

٢٣ـ أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم الجزء الأول

٢٤ـ تاريخ الموصل الجزء الأول

٢٥ـ مجموعة منشئات السلاطين لفريدون بك

٢٦ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ترجمة حمزة طاهر

٢٧ـ أبو الفرج

٢٨ـ منهل الأولياء

فهرس محتويات الكتاب

تصحيحات

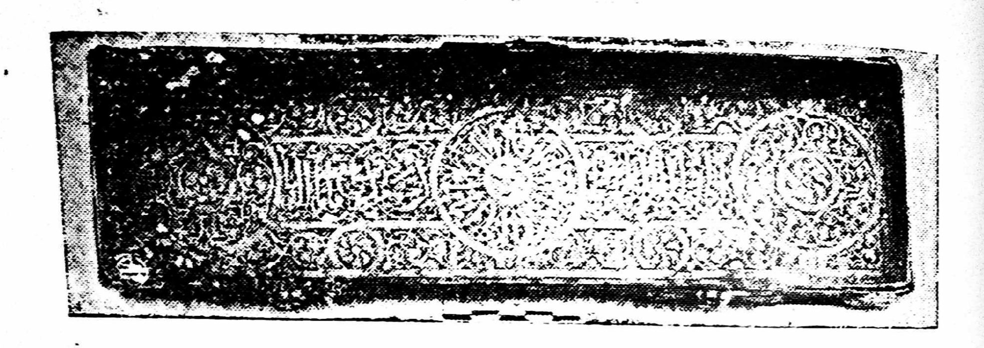
نعتذر للقارىء عن وقوع بعض أخطاء مطبعية راجين ان يتفضل باصلاحها قبل قراءة الكتاب :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦	١٧	خام	رخام
٧	١٢	بعكس	تحذف (وطرز البناء)
٧	١٧	جامع النوري	الجامع النوري
١٥	٥	مدرسة جامع النوري	مدرسة الجامع النوري
٢٨	١٨	المتنفذين	المتنفذون
٢٩	٤	احتلت	دخات جيوش
٧٣	١٣	عبد الله بن معتم	عبد الله بن المعتم
٧٥	٥	اربيل	اربل
٩٥	١٧	شمال	تحذف
١١٠	٤	البلد	بلد



أحد مناظر الموصل في القرن السابع عشر الميلادي

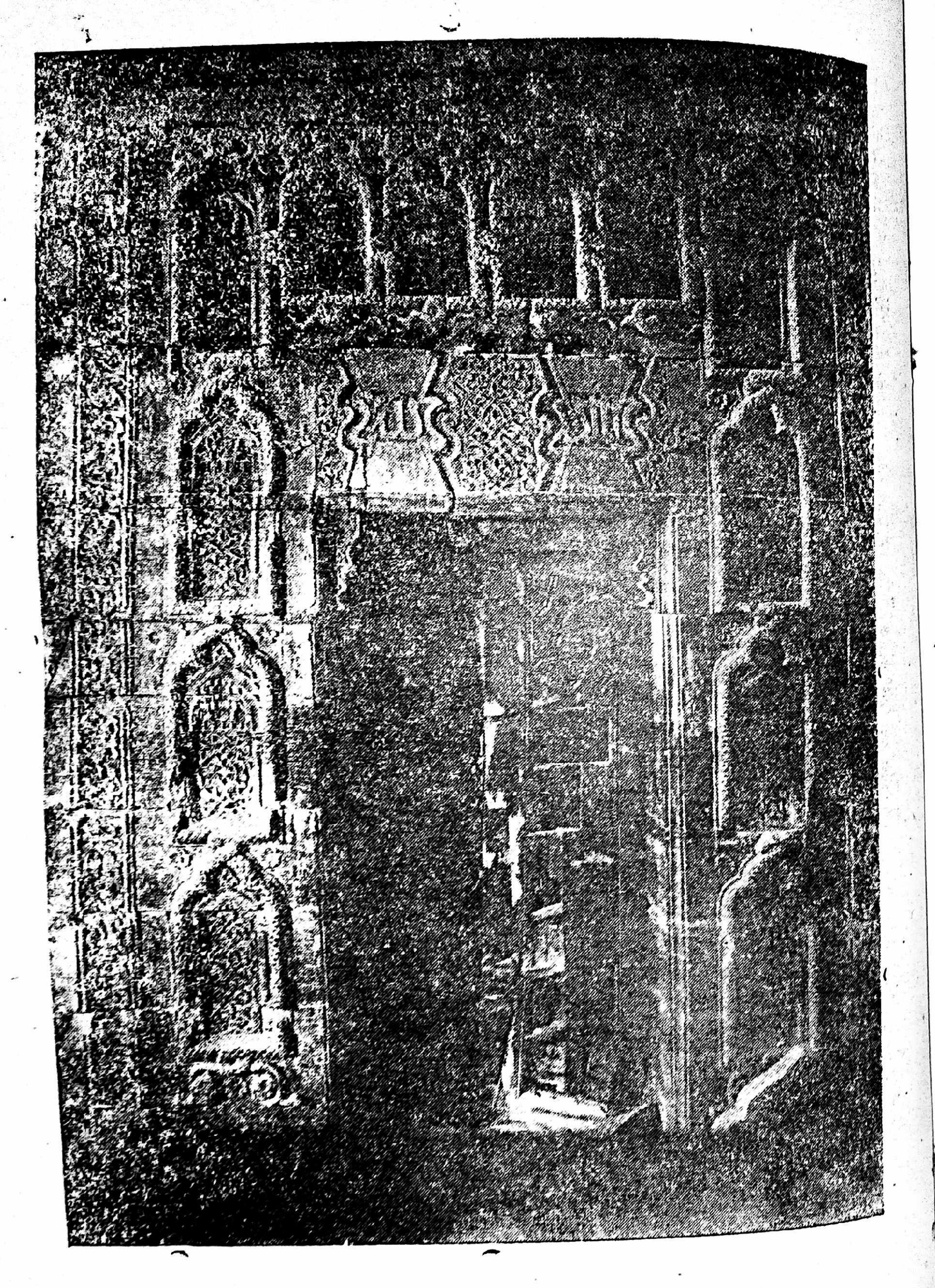
راجع ص (٧)



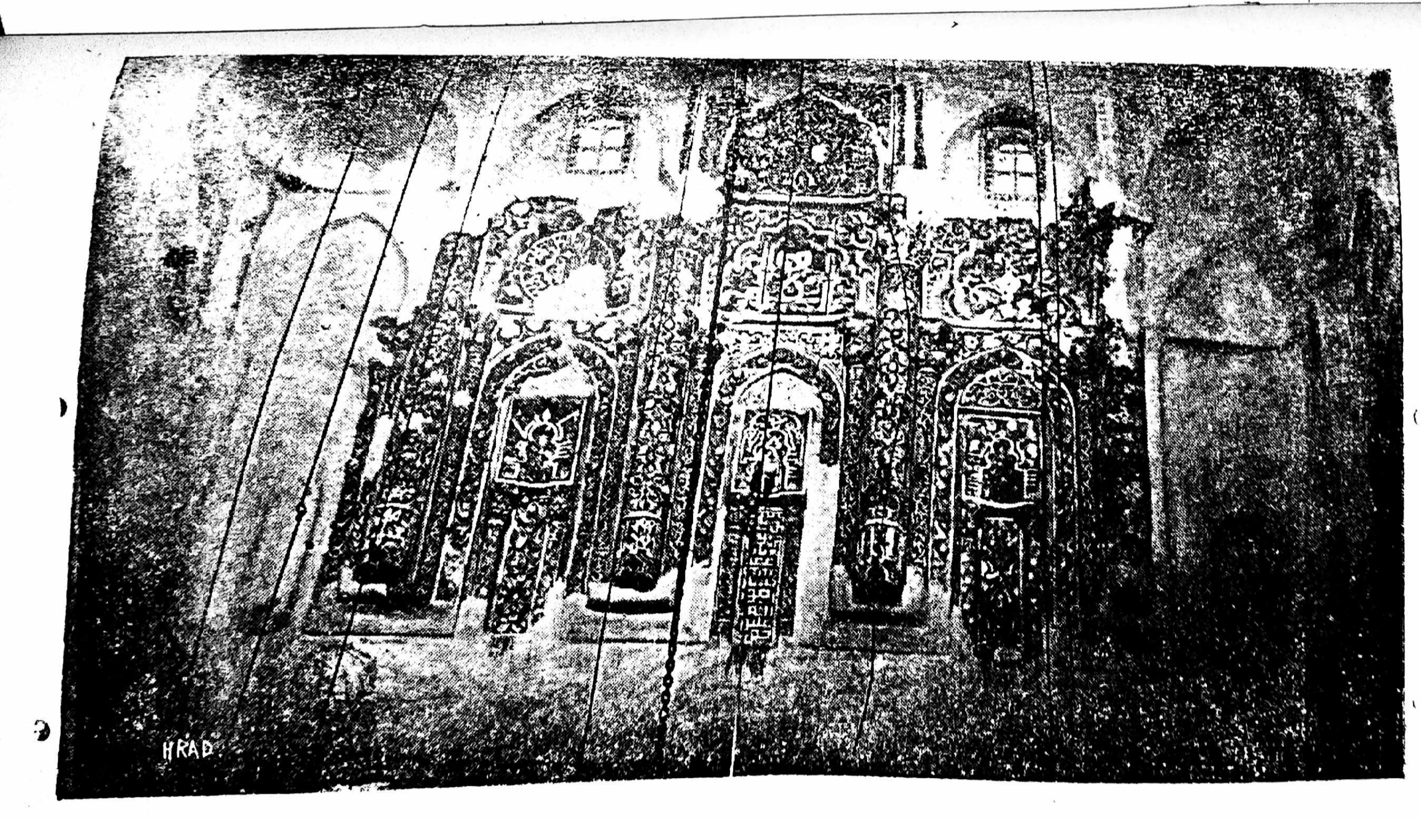


محبرة من النحاس الاصفر صنعت في الموصل فى القرن السادس الهجري

راجع ص (٦٦)

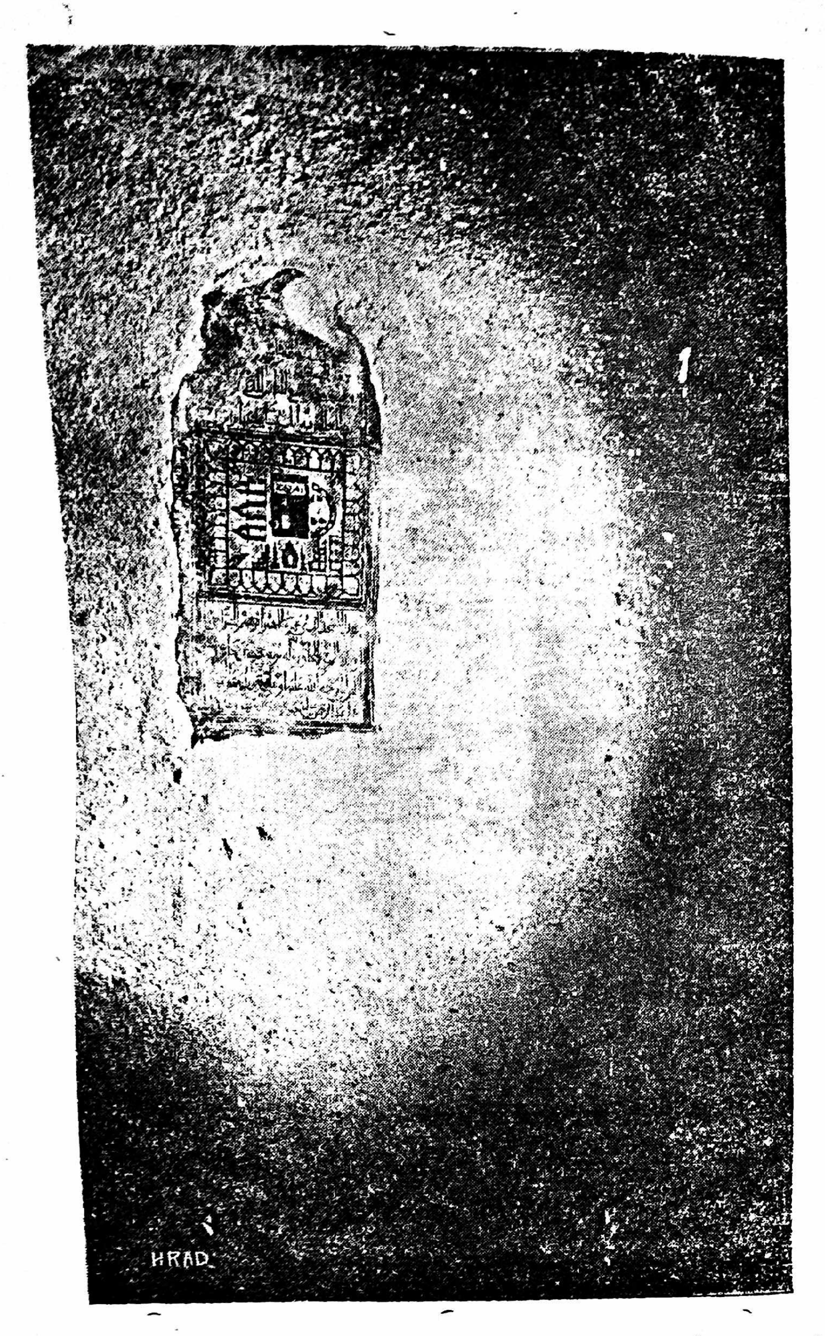


باب ضريح الامام الباهر منحوت من المرمر الازرق
صنع فى الموصل فى القرن السادس الهجري
راجع ص (٦٩)



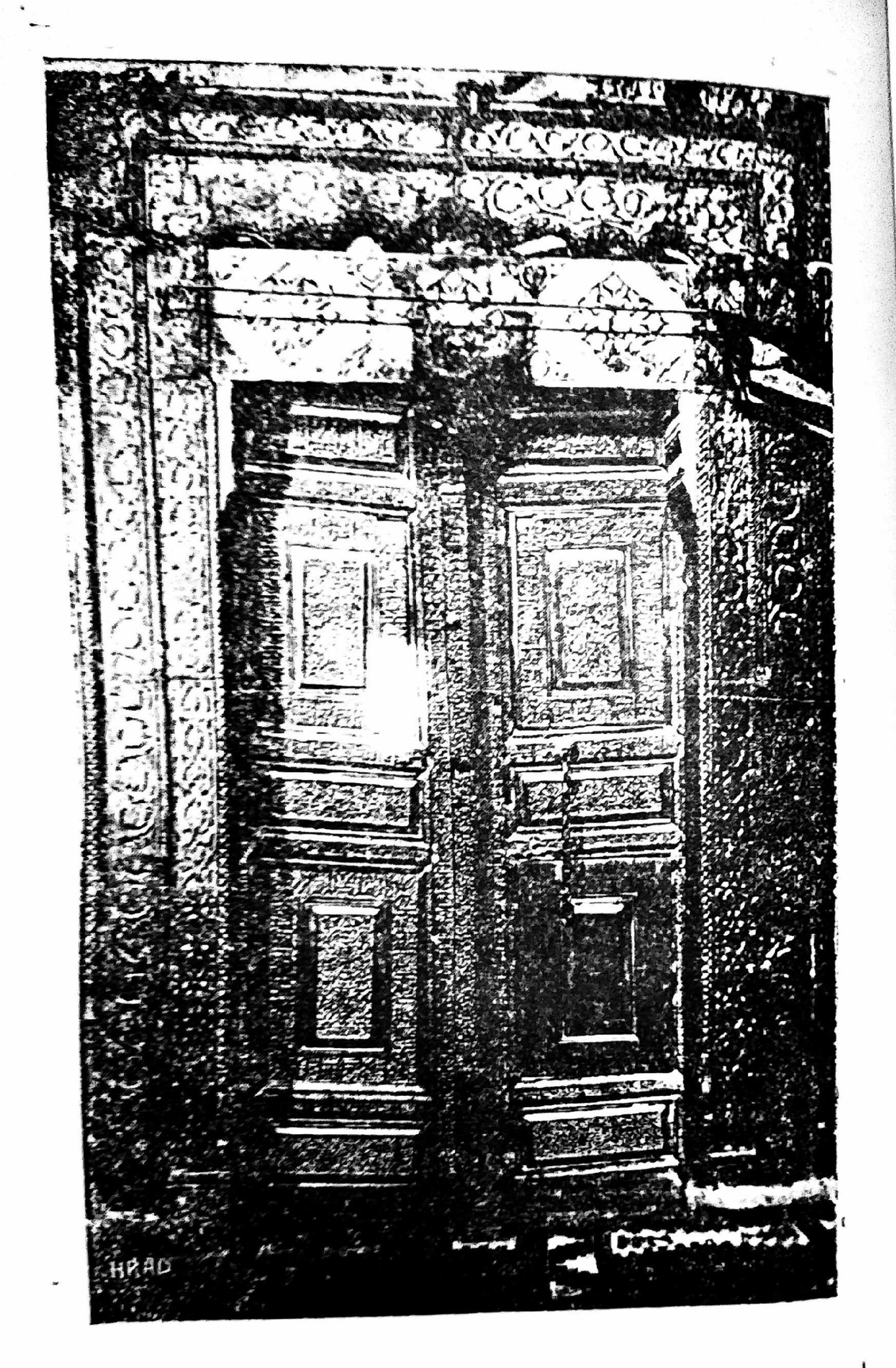
ألواح مزخرفة من الجبس كانت مرتكزة فوق المحراب الكبير فى الجامع النوري
صنعت فى الموصل فى القرن الخامس الهجري

راجع ص (٦٩)

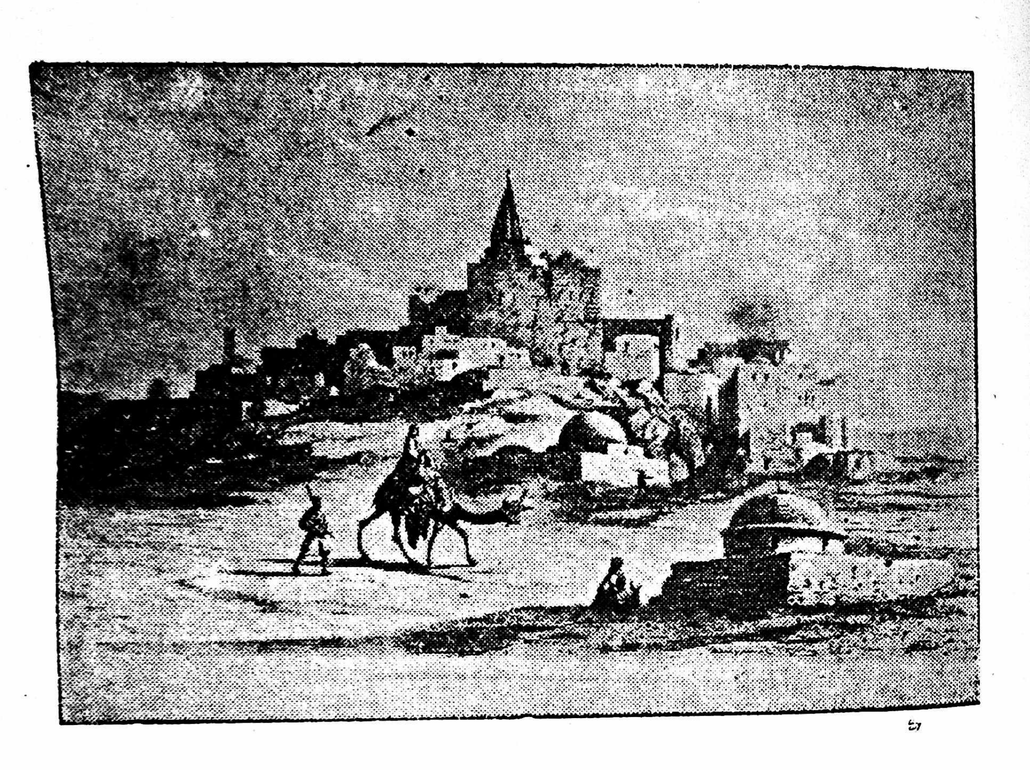


حجر أسود نقش عليه صورة الكعبة صنع في الموصل في القرن السادس الهجري

راجع ص (٧٠)

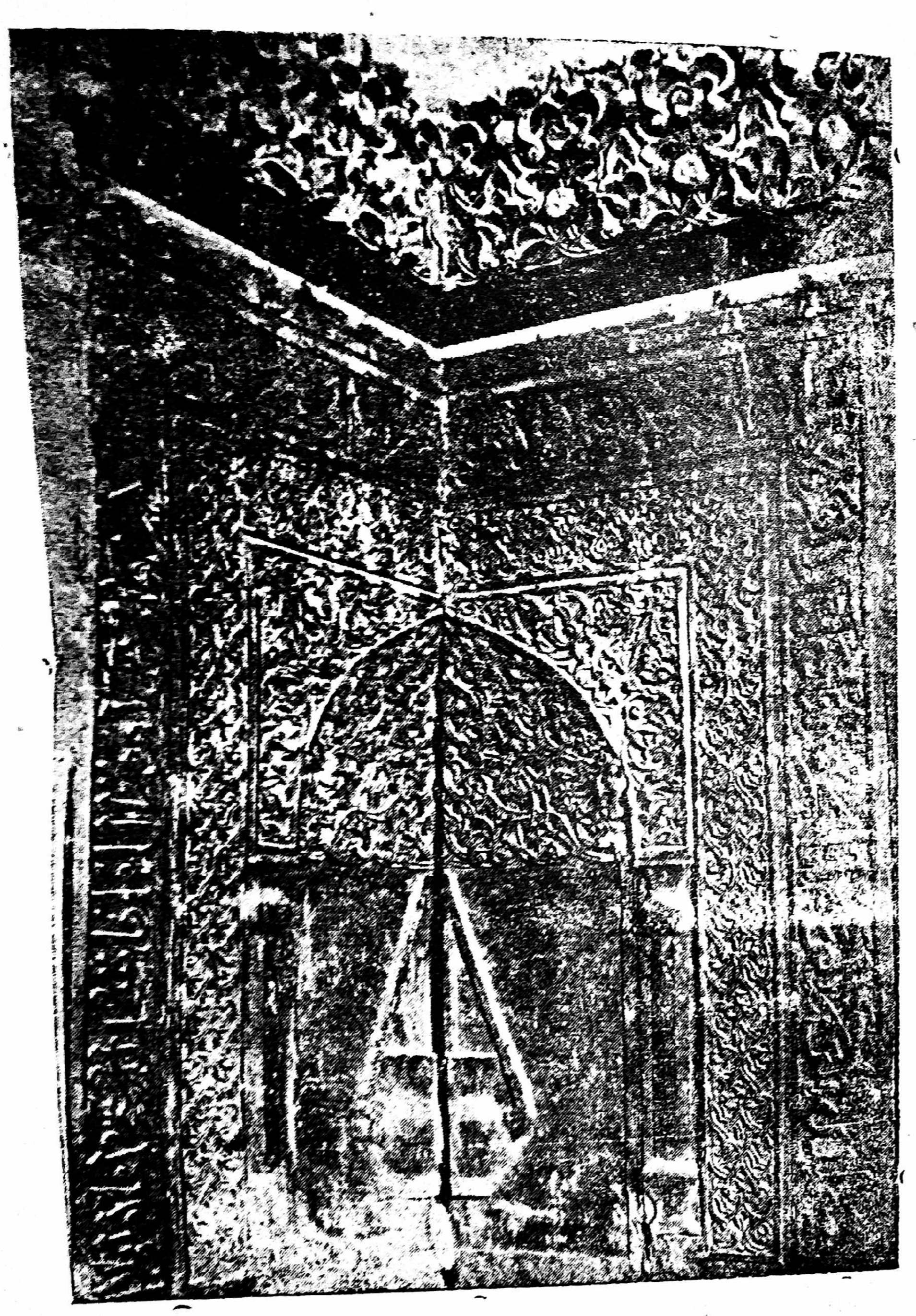


باب خشبي لضريح النبي جرجيس في الموصل مزخرف صنع في أواخر القرن السادس الهجري راجع ص (٧١)



مدينة نينوى كما كانت فى القرن السابع عشر الميلادي

راجع ص (٨٨)



محراب من المرمر من صنع الموصل في القرن السادس الهجري

٣٠
شوش

٣٦
زمار

برقعيد

٣٥
تلعفر

ناحية الجراحية

ناحية البقعاء

ناحية تلعفر

نهر دجلة

نهر الخوصر

نهر الكومل

نهر الخازر

الموصل

الزاب الكبير

ناحية الزابان

ناحية حديثة

خارطة
نواحي الموصل القديمة

مقياس الرسم ... ١٢٦٧٢ : ١ ميل

مقياس الى الكيلومترات

PLANS OF MOSUL

BY

AHMED AL-SOFEE

PART. (2)

١٣٧٣هـ — ١٩٥٣م